قلوب عبير الجديدة

جانيت غرين

شلالات القمر

www.elromancia.com
مرمورية

قلوب عبير الجديدة

www.elromancia.com

مفاجأة العمر

- يبحث عنها منذ خمس سنوات .. امرأة من نسج أحلامه .. ملاك ، دون اسم ، نجح في هذه الليلة في تبديد ظلام حياته إلى الأبد . حلم الصين .. حلم ليلة ..
- وأخيراً وجدها .. مبتسمة ومشرقة ، كانت هنا أمام عينيه .. خطيبة شقيقه.

مقدمة

هي !

حملق "هيرمان نايت" في الصورة بينما كان يضغط بكل قوته على الرسالة التي يمسك بها في يده .

ونسي تماما الجو السيئ لـ"مانهاتن" الذي طالما ظل يلعنه وهو يقبع في منزله .

كما نسي الشعور الرهيب بالضيق الذي كان يرزح تحت طائلته أثناء مشاهدته لبرامج التليفزيون ومقدمها الغبي . هكذا راح عن فكره كل ما كان يشغله ويؤرقه منذ ثوان معدودة ولم يبق سوى ذكرى هذا العشاء الذي أسرع لقضائه مع أجمل فتاة في العالم .

هي !

إنه ينتظر هذه الرسالة منذ وقت طويل ! والآن حل محل السعادة ، إحساس بالحقد والضيق ...

حقد ظالم وغير عادل ، ولكن قلما تخضع المشاعر الإنسانية لما يمليه عليها العقل والنزاهة .

كان الإحساس بالضيق والمرارة يسيطر عليه ضد سخرية هذا الموقف ، ومع ذلك دلف إلى المطبخ الحديث جداً وبدأ يعد القهوة بيد غاضبة ، ثم بدأ يتخلص من سترته المبللة بينما ظلت عيناه عالقتين بالصورة التي ثبتها أمامه على التليفون .

كان منذ خمسة أعوام لا يتناول سوى المشروبات الكحولية وليست القهوة ، كان منذ خمسة أعوام يخرج هائما على وجهه في الشارع ليهدئ من ثائرته ، أو يحطم أي شيء يجده أمامه وينثر حطامه في كل مكان كأنه يحاول أن يتحدى قدره القاسي .

وربما فكر في البحث عن أي امرأة تؤنس وحدته ، ومع ذلك يجد نفسه دائما وحيداً في النهاية .

ولكن منذ أن رآها ، منذ أن رأى فتاة الصورة ، لم يعد ، كما كان ، فريسة

النزوات المدمرة .

هي ، الفتاة التي يراها تضحك أمامه بين ذراعي رجل آخر ...

بفضلها ، نجح في السيطرة على مشاعره السلبية بل وحولها إلى أفكار وأفعال إيجابية ، وهاهو ذا الآن يتحسس وجهها بأصابعه ، ولكنه لا يلمس إلا صورة .

إن مجرد لمسه لصورتها يشعره بالاضطراب ، نعم إنها هي ! لقد تغير لون شعرها ، ولم تعد نحيفة وهزيلة كما كانت ، ولكن عينيها ظلتا كما هما ... بلونهما الأخضر وتعبير السعادة والثقة في الحياة .

لم تضف عليها هذه الأعوام الخمسة أي تغييرات .. ولكن هذا ليس بغريب : فلن تستطيع عوامل الزمن تغيير معالم الملائكة ، ولكنها تزيدها روعة وجمالا فقط .

"ملاك في الظلمات" ... هكذا كان يراها ، وكان مجرد لمسها يبدد الظلمات من حوله ويجعله يتحسس مخرجا ، فتبدو الحياة هادئة ورقيقة وكأنه خرج بذلك من كابوس أو تخلص أخيرا من عماه .

لم تكن "هونج كونج" إلا ميناء يرسو عليه لمدة قليلة وهو في طريقه الذي يؤدي به إلى معركة جديدة ، مسرح جديد للأحداث الدموية التي تذيع شهرته كصحفي ناجح وتجعله يعتلي القمة دائما .

لقد استيقظ في اليوم التالي لوصوله عند الظهيرة وهو يعاني آلاما مبرحة في رأسه نتيجة لتناوله المشروبات الكحولية طوال طريقه من "أمريكا الجنوبية" .

لم يكن يعرف أين هو ولكنه يشعر بالراحة لسماع دوي الطلقات من حوله.

ثم أتى الليل ، عندما ذهب إلى هذه الأمسية يائسا كأنه يحاول بذلك خنق الأصوات التي تؤرقه في الظلمات و تملأ رأسه بطنين مستمر .

فأينما ذهب ، تلاحقه الدعوات نظراً لشهرته الذائعة الصيت ، ورذائله التي ارتكبها طوال سنوات عمره تبدو كأنها درع له .. إنه يدخن ويرتكب المعاصي ويزج بنفسه في المغامرات العاطفية . لمجرد اللذة الجنسية ويهتم بكتابة القصص المنسوجة بعناية .

ولكن ماالشيء المختلف الذي يجده فيها ولا يجده في غيرها ؟

لقد لاحظها واختارها من بين الجميع وكانت تجلس وحيدة ولكن ليست منعزلة .

عندما رآها "هيرمان" ، شعر في داخله بمزيج غريب من الحاجة والتحدي

والرغبة.. كانت صغيرة وهزيلة .. كان جمالها يحمل طابعا شرقيا ويبدو متناقضا تماما مع لون بشرتها ولون شعرها المتكلف .

ولكنه شعر أن بها طاقة داخلية وقوة اضطرته لأن يسلم لها .

وعلى الرغم من تصرفاتها العدوانية ، إلا أنها لم تفقد أبداً رقتها وصفاءها ، وكان دائما وأبداً يغفر لها ويصفح عنها .

وكان أول لقاء بين الغريبين في حجرة منعزلة في أحد الفنادق المجهولة ، وعلى الرغم من أن هذا اللقاء لا يحمل معنى نظيفا إلا أنه في نظر "هيرمان" لقاء حب بكل ماتحمله الكلمة من معان سامية ، حب خُلق من العدم ...

لذلك ، يبدو كل شيء في عينيه مختلفا .. لقد رحلت بدون أن تقول له الوداع ، ولكنها تركت لديه هذا الانطباع الرائع ، وهو ... عاد من جديد إلى ساحة المعركة ، ولكنه تخلص من يأسه الكئيب .. ومنذ ذلك اليوم ، بدأت كتاباته تتسم بالحب والرحمة واختفت الكآبة والسخرية من حياته .

لقد كان تحولا عميقا وعسيرا في نفس الوقت ولكنه لم يفقد وحيه ، وظل يتذكر.. وظل يأمل .

وخلال خمسة أعوام طوال ، ظل مجنونا بحب هذه الفتاة القريبة من الخيال ، ولكن هاهي ذي الآن أخيراً أصبحت سهلة المنال .. لقد عرف أخيرا اسمها وأين تكون .. ولكن هل ترغب هي أيضا في رؤيته ! وهل يشعر هو أنه مستعد لمواجهة نتائج هذا اللقاء ؟

إنه سعيد بهذا التحدي ويشعر أخيراً أن جسده وعقله ينعمان بالراحة .

إن "هيرمان نايت" لن يتغير أبداً .

الفصل الأول

- أي !

قفزت العروس من مكانها ، فهمهمت "هانا" وهي تضع في فمها دبابيس الحياكة :

- معذرة يا "هيلين" .

جلست القرفصاء وتنهدت قبل أن تمسك الدبابيس بيدها وقالت :

- من المستحيل أن تبدو قامة الثوب منتصبة ورائعة ، لابد أنني أخطأت عند تصميم الباترون ، والآن من المستحيل علاج ذلك الخطأ .. كيف أخرج من هذا المأزق الآن ؟

ابتسمت "هيلين سميث" ابتسامة هادئة لحماتها المقبلة ، إن "هانا" خياطة لانظير لها وتتقن عملها بعناية شديدة فينال إعجاب الجميع .

قالت "هيلين" برقة :

- إنه رائع يا "هانا" ، ويروقني كثيراً .. إنه حقا هائل .. وسترين ذلك بعد الانتهاء منه ..

وإلى الآن ، كان الثوب الحريري نو اللون العاجي مغطى بالدبابيس وعلامات الخياطة .. ولكن "هيلين" كان بإمكانها تقدير شكل الثوب على الرغم من عدم إلمامها بأعمال الحياكة .

قالت "هانا" :

- الحق أنني بدأت أتساءل هل كنا فعلا محقتين في اختيار هذا الموديل ؟. فثوب العروس مقترن دائما بالدانتيل والأزياء الفضفاضة ..

انفجرت "هيلين" في الضحك .

- ولكن هذه الفكرة كانت فكرتنا من البداية يا "هانا" !

وأنت التي أقنعتني باختيار موديل غير عادي ، ولا يمكن التراجع الآن ، لقد

تأخر وقت التراجع كثيراً !

هبت "هانا" واقفة في مكانها بخفة شديدة لا تلائم سيدة في الستين من عمرها ، وعادت قليلا إلى الوراء وهي تعقد ذراعيها على صدرها لتتأمل عملها عن بعد بعين فاحصة ، ثم قالت :

- من المؤكد أن "إيدا" ستُدهش كثيراً ، أليس كذلك ؟

فأجابت "هيلين" :

- بالتأكيد .

لم تكن "إيدا" ، شقيقة "هانا" ، لتحسد هذه الأخيرة على مواهبها كخياطة ، فقد زوجت ابنتها منذ ثلاثة أشهر وكان ثوب العروس رائعا جدا في طرازه التقليدي .

وكان من الواضح جداً أن هناك منافسة دائمة بين الشقيقتين مما جعل "هانا" تصر على استبعاد فكرة ثوب العروس التقليدي لتصمم ثوبا غير مألوف ، والحق أن "هيلين" سعدت كثيراً بهذه الفكرة .

واستوحت "هانا" هذه الفكرة من معرض للملابس اليابانية كان مقاما في الـ"أرت جالاري" بـ"أوكلاند" ، فالتقطت عدة صور لبعض الملابس عرضتها فيما بعد على "هيلين" بحماس شديد .

- لماذا لا نستوحي فكرة الثوب من جداتك .. فيكون عبارة عن "كيمونو" فوق ثوب ملتصق بالجسد ، وتستطيع مدام "هاريسون" تنفيذ ذيل الثوب بالتطريز والجواهر .

فعلقت "هيلين" التي أعجبت بالفكرة قائلة :

- لقد كانت جدتي الأولى من "الصين" وليست من "اليابان" .

والحق أن "هيلين" لم تكن تشبه سيدات "نيو زيلنده" بقامتها التي يصل طولها إلى ١٦٢ سم ، وشعرها الأسود البراق وعينيها اللتين يميل لونهما الأخضر إلى الرمادي ، وبشرتها التي يميل لونها إلى العاجي .

وأخيرا استقر رأي الفتاة وحماتها المقبلة على ثوب ذي كمين طويلين من الحرير الرقيق ، ترتدي فوقه ثوباً آخر يشبه الـ"كيمونو" أما الظهر ، فكان له ذيل

طويل ، مطرز ورسم عليه شكل استوحته المرأة من كتاب رسومات شرقية ، بينما تم تطريز نهاية الثوب الذي يلامس الأرض ، والحق أن قماش الـ"كيمونو" الحريري كان باهظ الثمن جداً ، ولكن "هيلين" لم تعانِ من هذه المصروفات ، لأن أسرة "جريج" أصرت على القيام بكل تكاليف الفرح.

و"هيلين" فتاة يتيمة ، ليس لها سوى أخت وحيدة أكبر منها تدعى "سوزان" ، وهي سيدة متزوجة في الخارج وتعيش هناك بصحبة زوجها وأطفالها الثلاثة الصغار ، ولذلك لم تستطع "سوزان" المجيء للمشاركة في تجهيزات الفرح ، وكان على "هيلين" أن تعترف بجميل هذه العائلة الثانية التي تكرمت بمنحها المساندة المعنوية والمادية .

صاحت "هيلين" سعيدة :

– لن أضع هذا الثوب الرائع في الصوان أبداً بعد الزواج ، فهو رائع جداً لأن أقضي به أي أمسية ، أما بالنسبة للـ"كيمونو" المطرز ، فيمكنني استخدامه كتابلوه على الحائط مثل هذه التي رأيتها في المعرض .

قالت "هانا" بفرح :

– إنها فكرة رائعة ، يمكنك إذن وضعه على الحائط الكبير في حجرة استقبال الضيوف الخاصة بـ"جريج" بدلا من هذا التصميم الحديث المزعج الذي يضعه هو هناك .

قالت "هيلين" التي تشارك "هانا" في رأيها :

– إنه يؤكد أن هذا التصميم يساوي ثروة .

– على كل حال ، لحسن الحظ أنه لم يفكر في إبداء رأيه بشأن ثوب العروس ، وفي رأيي أن "جريج" يعاني من الذوق السيئ .. وإلا ما كان ترك هذا الديكور الرهيب على الحائط في منزله ؟ الحق أنني لا أحتمل أن يقرر شخص غيري الألوان أو الموبيليا التي أعيش بينها ! ولكن هذا الولد له تصرفات كثيرة لا أفهمها ...

ابتسمت "هيلين" .. إن هذا "الولد" في السادسة والثلاثين من عمره ، أي أنه أكبر منها بحوالي ست سنوات .

كما أنه رجل مثقف و يعرف كيف يدير مشاريع الاستيراد والتصدير بمهارة شديدة ، ودائما مسافر في رحلات عمل .

ولو كان قد اضطر للاستعانة بمهندس ديكور لتصميم ديكور منزله ، ذلك لأن حياته المضطربة لاتسمح له بالقيام بذلك ، هذا بالإضافة إلى أنه لايثق في ذوق والدته "البرجوازي" .

تقابل "جريج" مع "هيلين" لأول مرة في الطائرة بين "سيدني" و "أوكلاند" ، وكان "جريج" في طريق العودة بعد رحلة إلى معارض "اليابان . أما "هيلين" ، فقد كانت تقوم بآخر مرحلة في الرحلة التي دامت عامين ..

وكانت عبارة عن جولة في جميع أنحاء "أوروبا" مع بعض الأصدقاء ، وكان هناك من يمول هذه الرحلة نظراً لكونها من أفضل السيدات اللاتي ينفذن الملابس الصوفية المصنوعة من التريكو وكانت تبيعها في كل مكان تذهب إليه .

وعندما تقابلت مع "جريج" كانت تنوي القيام برحلة جديدة ولذلك نوت مرافقته في جميع رحلاته إلى الخارج ، وبفضله تعاقدت مع شركات كثيرة وبدأت أعمالاً كثيرة ، لدرجة أنها فكرت في فض الشركة المقامة بينها وبين شريكين آخرين وكانت عبارة عن محل صغير في "فيكتوريا بارك" ولكنها عدلت عن فكرتها لرغبتها في الاتصال بالعملاء دائما ، كما أنها كانت تشعر بسعادة شديدة عندما تسمع كلمات الإعجاب بعملها من أفواه الجميع حتى من لم يفكر في الشراء .

قالت "هانا" فجأة بينما كانت تجمع الخيوط وقطع القماش المتناثرة على أرض الحجرة الصغيرة التي تستخدمها كـ"أتيليه" :

– أنا سعيدة جداً بزواجك من "جريج" .. فأنا لم أره أبداً بمثل هذه السعادة على الأقل منذ سنوات بعيدة .. لقد ظننت في يوم ما أنه لن يتزوج أبداً .

وقفت "هانا" وهي مرتبكة بعض الشيء ، فقالت لها "هيلين" :

– لا تنزعجي يا "هانا" .. لقد حكى لي "جريج" كل شيء وأخبرني أنه كان متيما بحب فتاة فيما مضى ، كما أعرف المشاكل التي سببها هذا الارتباط في

العائلة ، ولذلك اتفقنا أن ننسى الأمر تماما ولا نذكره أبداً .. وما حدث حدث .. ولكن كل مايضايقني أنه تألم في يوم ما ...

– لقد تألمنا كلنا بطريقة أو بأخرى ، ولكننا لحسن الحظ مازلنا أسرة متماسكة مع ابنيّ .. والحق أنه يوجد بينهما بعض المنافسة ولكن ذلك يحدث كثيراً بين الأخوين المتقاربين في السن ، غير مهم ، ولكن هذه القصة .. على العموم ، ماحدث حدث كما قلت .

ولكن من الواضح أن هناك عواقب أخرى واضحة ، فقد لاحظت "هيلين" وجود تناقض في مشاعر "جريج" تجاه أخيه ، فكان يشعر أنه يبدو دائما في الظل بالمقارنة بشقيقه الأكبر الذي تكلل مواهبه وأعماله دائما بالنجاح ، ولكنه لم يفكر أبداً في إيذائه ، وفي النهاية وقع في حب خطيبة شقيقه ، وهي أيضا نفس الشيء على الرغم من محاولاتهما المستميتة لمنع هذه العاطفة من الاشتعال .. وفي النهاية وقف الشقيقان كل منهما في وجه الآخر في مشهد رهيب تبادلا فيه التهم والكلمات الجارحة ، وأخيراً هربت الفتاة وتركت الشقيقين لهول الموقف ...

وعندما كان "جريج" يحكي لـ"هيلين" هذه الفترة من حياته كان يبدو حزينا كأن الجرح لم يندمل بعد .

استرقت "هانا" السمع للأصوات التي بدت عالية في الخارج أي في البهو ، ثم قالت:

– ترى ، مع من يتحدث "نيك" .. أتمنى ألا يكون على وشك استقبال أحد الآن.. فموعد العشاء قد حان ، "هيلين" لا داعي لعودتك إلى منزلك بعد العشاء ويمكنك أن تقضي الليل في حجرة الضيوف ..

فأجابت "هيلين" التي كانت لاتفضل العودة إلى منزلها :

– نعم أفضل ذلك ، وأشكرك كثيراً .

والحق أنها كانت تسكن في منزل مشترك مع فتاة تدعى "چين" وتعمل ممرضة

ليلية ، وفتاة أخرى تدعى "سيرينا" وتعمل مربية ، والآن تعمل لدى رجل دبلوماسي يعيش مع عائلته في "أوكلاند" .

– إن "جريج" ينوي الاتصال بي اليوم ، وأعتقد أنه إذا لم يجد أحداً في المنزل، فسيتصل بي هنا .

وكان "جريج" يتصل بها كل يومين عندما يذهب في رحلة عمل .

كان صوت الزائر الذي حضر لتوه يبدو مألوفا .. وفجأة صاحت "هانا" قائلة :

– ياإلهي .. هل هذا "جريج" ؟ مستحيل ، إنه لن يعود قبل يوم الاثنين ، أليس كذلك ؟ ومع ذلك أشعر أنه حضر !

وبسرعة شديدة ، بدأت "هانا" تفك الحزام العريض الخاص بالـ"كيمونو" وتنزع عنه الدبابيس وهذه الدبابيس كانت موضوعة مكان الأزرار العاجية التي ستغلق الثوب من بدايته إلى نهايته .

– أتمنى ألا يكون "جريج" غبيا حتى يأتي إلى هنا ؟ فهو يعرف جيداً أننا نعمل في الثوب .. والآن اصعدي بسرعة وغيري ثوبك ! فمن المؤكد أنه سيأتي فوراً لو علم بوجودك ...

وفجأة ظهر زوج "هانا" الرجل الطيب القلب عند المدخل فحاولت "هيلين" إخفاء الثوب ، عندما قال الرجل بينما كانت عيناه تلمعان بفضول شديد :

– معذرة ياسيدتي ، ولكننا لدينا ضيف ، وأعتقد أنكما ستتوقفان عن عمل أي شيء إذا عرفتما من يكون هذا الضيف !

– "هيرمان" !

توقفت "هانا" من هول المفاجأة لثوان معدودة قبل أن تجري عبر الحجرة كأنها طفلة صغيرة لترمي بنفسها في أحضان الرجل الذي وقف بجانب زوجها عند المدخل .

– مساء الخير يا أمي .

احتضن "هيرمان" والدته بينما ترتسم على ملامحه ابتسامة هادئة ، ويبدو من

تعبير وجهه كأنه لم يبتعد عنهم إلا أسبوعاً واحداً وليس عاما كاملا .

– "هيرمان" !

كانت "هانا" تضحك وتبكي في آن واحد ، وأخيرا تماسكت لتقول :

– آه "هيرمان" .. لم نكن نتوقع قدومك قبل أسابيع .. كيف أتيت الآن ؟

– لقد صرفت أموري .. وغيرت برنامج أعمالي الخاص بصدور الكتاب .. واستطعت الحضور مبكراً لإقامة أطول .

أصبحت ابتسامته وصوته أكثر رقة ، بينما كانت "هيلين" تشعر بانقباض في قلبها وهي تراقب الموقف .. وأخيراً ابتعدت نظرات "هيرمان" عن وجه والدته لتتعلق بوجه "هيلين" .

كانت عيناه سوداوين وحادتين ، فتجمدت ابتسامة "هيلين" تماما على شفتيها بمجرد أن نظرت إليه ، وأخيراً فهمت الفتاة السبب في ارتباكها وهو أن "جريج" و"هيرمان" كانا متشابهين لدرجة الخلط بينهما .. نفس الوجه ذي الملامح المتساوية .. ونفس الوجنتين .. ونفس الفم .. ربما كانت عيناه تميلان إلى اللون الداكن أكثر من "جريج" ، ولكن له نفس الشعر وإن كان يبدو أكثر طولا مع نفس اللون الذهبي .. الحق ، لم يكن هناك اختلاف إلا في تعبير الوجه فقط .

كانت التجربة تكسو ملامح "هيرمان نايت" بالقسوة ، كما تبدو عيناه جامدتين كما لو كان يخفي بداخلهما سراً لا يستطيع أحد الوصول إليه .. وكانت التجاعيد الواضحة حول عينيه تؤكد صرامته وعدم ميله للضحك ، وعلى الرغم من ذلك شعرت "هيلين" أنه طيب المزاج ويرغب في الحياة .

– "هيرمان" ؟

وعلى الرغم من محاولة والدته جذب انتباهه بعيداً عن "هيلين" ، إلا أن عينيه ظلتا معلقتين بوجه الفتاة الذي اكتسى بحمرة الخجل .

وأخيرا قالت "هانا" :

– "هيرمان" .. هل ستظل طويلا هكذا ؟

همس "هيرمان" كأنه يقول لنفسه :

– أطول وقت ممكن .

ثم نظر إلى يدي "هيلين" اللتين تمسكان بالثوب الحريري ، فارتسمت على شفتيه ابتسامة هادئة ، وأخيرا قال برقة شديدة عندما لاحظ ارتباك الفتاة :

– مساء الخير .

ثم صاحت "هانا" :

– يا إلهي ، أين عقلي ؟ تعال لأعرفك على "هيلين" ولكن بشرط ألا تخبر "جريج" بأي شيء عن ثوب العروس !

ثم جذبت ابنها نحو "هيلين" :

– "هيلين" ، إنه هو كما تخمنين بالتأكيد .. إنه "هيرمان" .. أشهر رجل في العائلة .. "هيرمان" أقدم لك "هيلين سميث" .

– "سميث" ؟ هل هذا اسمك حقا ؟

شعرت "هيلين" بالضيق ، هل يظن أنها تخفي حقيقتها وراء اسم مستعار؟

– بالضبط !

ثم مدت يدها نحوه بخشونة ، وأضافت :

– أنا سعيدة بمعرفتك ياسيد "نايت" .. فأنا لم أقابل أي شخص شهير مثلك من قبل .

شدد "هيرمان نايت" قبضته على يد الفتاة وقال :

– فيما عدا أنا يا "هيلين" .

وكان ينطق اسمها بإصرار واضح ، فشدت "هيلين" يدها منزعجة :

– أنا .. نعم ، ولكننا لم نتقابل من قبل .

– حقا ؟

كان صوته رقيقا ولكن جرأته الواضحة وثبات نظراته كانا يشعرانها بالارتباك.

قالت "هيلين" :

– حقا .

– يبدو أنك واثقة جداً من نفسك .

– نعم .

بدأت "هانا" و"نيك" ينظران إليهما باستغراب ، ربما كان ذلك مايشد "هيرمان"

نحو خطيبة شقيقه .

ولكن هل يتعامل دائما بهذه الطريقة مع كل السيدات اللاتي يتقابل معهن؟ أو ربما وجد فيها شيئا رومانسياً يجذبه نحوها ككاتب قصصي ؟

أكدت الفتاة بثبات :

– لو كنت قد رأيتك من قبل ، أعتقد أنني سأتذكر ذلك .

قاطعت "هانا" :

– أنت تظن أنك رأيت "هيلين" من قبل لأنني أرسلت لك صورتها . . هل أتيت من المطار على الفور ؟ "نيك" .. هل يمكنك الاهتمام بأمر حقائبه ؟

أجاب "هيرمان" بعد أن ابتعد أخيرا بنظراته عن وجه "هيلين" – الذي اكتسى بحمرة الارتباك والضيق .

– إن حقائبي في الفندق .

رددت "هانا" بدهشة ، بينما قطب "نيك" جبينه :

– في الفندق ؟

– لقد اهتم الناشر الخاص بي بالحجز لي ، ولم يكن أمامي وقت إلا لصعود سلالم الطائرة ، كما أنني حاولت بشتى الطرق الهروب من الاستقبال المخصص لي في المطار ولكني تركت الحقائب هناك ، أما الآن فأعتقد أنها في "ريچن" .. وعلى كل حال ، كنت أتساءل فربما يكون لديكم ضيوف ...

– ليس لدينا إلا "هيلين" .. وأنت تعرف أننا نرحب بك في أي وقت .

لمع بريق غريب في عيني "هيرمان" الذي استدار نحو "هيلين" :

– هل تسكنين هنا ؟

– هذه الليلة فقط ، ولكني أعتقد أنك تريد قضاء هذه الليلة مع أسرتك وأنا ...

قاطعتها "هانا" :

– مستحيل ، كما أنك شخص من العائلة يا "هيلين" ، ولا يوجد لديك شك في هذا .

ثم استدارت نحو ابنها :

– فندق يا "هيرمان" ، يالها من فكرة !

قال "هيرمان" بوجه جامد :

– أعرف أن الخدمات في "ريچن" تعتبر سيئة جداً بالمقارنة بك .

– مم .. لا تعتقد أننا سنبذل قصارى جهدنا من أجلك بحجة سعادتنا بحضورك .. كما أننا نعرف من خطاباتك أنك اعتدت على الحياة في الفنادق الفخمة .

– أتفق معك في الرأي يا أمي .

نظر "هيرمان" إلى والده نظرة لئيمة ، ولأول مرة شعرت "هيلين" بالعطف نحوه ، ثم قال :

– أعتقد أنك ستوافقينني في الرأي ؟

– ربما تكون في حاجة إلى ذلك ياطفلي ، كما يبدو أنك متعب للغاية .

– فروق التوقيت يا أمي ، كما أن قصة الكتاب تسيطر على تفكيري وتؤرقني ليلا .. وصدوره يعد مشقة كبيرة بالنسبة لي .. الصحافة ، التليفزيون ، وأخيرا أكون في حاجة إلى حنان أمي .. سأذهب إلى المدينة لأحضر حوائجي ، فما رأيك؟

وعند عودتي أتمنى أن أجد وجباتك الشهية في انتظاري ..

ربت الأب على كتف ابنه وقال :

– كلا ، ابق هنا لتتحدث مع والدتك ، فأنت في حاجة إلى الحديث معها ، أما أنا فلم أفعل شيئا طوال اليوم إلا بعض التمرينات في الحديقة ، لذلك سأذهب لإحضار أمتعتك .. والآن اتصل بالفندق وأخبرهم بذلك .. فأمامي عشر دقائق فقط للوصول إلى هناك .

– أشكرك يا والدي ، ويمكنك إذن أن تستقل السيارة الموجودة في الممر ، لقد أجرتها لتوي ، إن جميع تكاليف تنقلاتي على حساب الناشر دائما .. وهكذا سأريحهم من تكاليف الإقامة في الفندق .

ابتسم "هيرمان" بينما حاول الأب التقاط مفاتيح السيارة التي قذفها نحوه ابنه ليكتشف طراز السيارة ، ثم يقول :

– كنت أحلم دائما بقيادة سيارة سريعة مثلها ...

– يمكنني أن أشتري لك واحدة إذا أردت .

تجهم وجه "نيكولا" ، حقا يشعر الأب بنجاح ابنه مما يملؤه بالفخر ولكنه لا يؤثر فيه كثيراً .

– لقد قلت أحلم بقيادتها يا "هيرمان" ، وليس بامتلاكها .. إن وحشاً مثلها يسبب إزعاجا دائما .. إلى اللقاء يا "هانا" .

ثم أغلق الأب الباب وراءه ، وعندما لاحظ "هيرمان" ارتباك الأم ، قال لها :

– لا تنزعجي ياأمي .. فأنت تعرفين أنه حذر جداً على الطريق .

– إنه لايزال مراهقاً ، وعندما تعرفت عليه لأول مرة كان مغامرا خطيرا .

– وها أنت ذي قمت بإنجاز رهيب في تغييره .

ثم ابتسم لـ "هيلين" محاولا جذب انتباهها لمشاركتهما الحديث ، ولكنها كانت لاتزال تشعر بالاضطراب بدون سبب واضح .

قالت "هانا" :

– وفي انتظار والدك ، يمكنك تناول أي شيء يا "هيرمان" .. وسأذهب أنا لإعداد العشاء .

فأسرعت "هيلين" بقولها :

– سأتولى أنا ذلك بينما تبقين أنت مع ابنك لتتحدثي معه .

همس "هيرمان" :

– في ثوب الزفاف ؟

ثم نظر إليها ليؤكد لها أنه فهم أنها تحاول الهروب من صحبته فقط .

فقالت "هانا" :

– هذا صحيح ، اذهبي لتغيير ملابسك الآن يا "هيلين" ، ثم يمكنك بعد ذلك البقاء مع "هيرمان" لتتعرفا على بعضكما ، أما أنا فأمامي وقت طويل لأتحدث معه طالما نوى الإقامة هنا ، بالمناسبة يا "هيرمان" ، إن التليفون في البهو الآن، وليس في المطبخ ، لقد غيرنا مكانه العام الماضي بعد أن أصبح والدك على المعاش ، وأصبح يزعجني بكثرة اتصالاته ..

كانت "هانا" تخرج من الحجرة وهي تواصل حديثها ، بينما كانت "هيلين" تتجه نحو الباب محدثة حفيفا بثوبها الحريري ، ولكن "هيرمان" أسرع نحوها كأنه قرر ألا يتركها تبرح الحجرة .

ثم قال بتهكم :

– والآن .. يا آنسة "سميث" ؟

– أتسمح لي يا "هيرمان" ؟ أريد تغيير هذا الثوب .

وعندئذ كان "هيرمان" يركز نظراته على فتحة ما موجودة ، في الثوب تظهر ساقيها .

ففكرت "هيلين" أنه شخص كريه .. ولكن ربما يكون ذلك نتيجة للإرهاق الذي يشعر به لفروق التوقيت .. وحاولت الفتاة أن تتماسك وتوجه إليه ابتسامة مضطربة رغما عنها ، وعندما اقترب منها ، لاحظت أن حدقتي عينيه تبدوان صغيرتين جداً بالنسبة لقزحية العين .. ربما يكون ذلك لأنه مدمن .. قد يكون من مدمني الكوكايين أو أي شيء آخر .

رددت الفتاة بصوت أكثر ثباتا :

– معذرة ، أتسمح لي ؟

– إذن إنه الهروب ، مادامت "هانا" ليست موجودة لحمايتك ، ولكنك لن تذهبي بعيداً يا "هيلين" .. ولابد من أن نتحدث معا .

وأخيرا ، تنفست الفتاة الصعداء عندما ابتعد عن طريقها ، فقالت لاهثة :

– بالتأكيد ، إلى اللقاء .

ثم ابتعدت عنه وانطلقت مسرعة تصعد السلالم ، وبينما كانت في طريقها كانت تشعر بنظراته مثبتة على ظهرها ، ولو طاوعت نفسها ، لكانت رفعت الثوب وجرت على السلالم بسرعة شديدة .

وأخيرا هاهي ذي في حجرة الأصدقاء .. وقفت "هيلين" أمام المرآة المثبتة على الحائط وقلبها يكاد يتوقف .. هل هي غبية لدرجة أنها ترتبك إلى هذا

الحد ! إنها ليست المرة الأولى التي تواجه فيها مثل هذا الموقف ، ولكن الأمر يختلف تماما أمام هذه الطريقة اللعوب التي يتبعها "هيرمان" معها .

نزعت الفتاة الـ"كيمونو" ، وبدأت تنزع بعناية الثوب المثبت بالدبابيس ، وذهبت بملابسها الداخلية لتعلق الثوب على الشماعة ، وعندما عادت نحو الفراش لترتدي ثوبها ، وجدت "هيرمان" في الحجرة ، وكان يقف مستنداً على الباب بعد أن أغلقه معقود الذراعين مما يبرز عرض كتفيه ، فقالت "هيلين" بضيق :

- أين تظن نفسك ، إنها ليست حجرتك !

ثم امسكت بالثوب بسرعة ووضعته على جسدها .

قال "هيرمان" ببرود :

- أعرف ، إن حجرتي عند البهو .

- حسن ، ماذا تفعل هنا إذن ؟

لم يكن ثوبها مفتوحا من الأمام ، لذا كان عليها أن ترتديه من عند الرأس وبالتأكيد لورفعت يديها لترتديه لأمكنه عندئذ رؤية جسدها بوضوح ، وعندما تفحص "هيرمان" الثوب ، فهم على الفور المشكلة التي تعترضها .

ثم سألها :

- الم تنتظريني ؟

- ما الذي تريد قوله بالضبط ؟

- الم نتفق على أن نتحدث معا ؟

- ولكنني ارتدي ملابسي الآن .

رفع "هيرمان" كتفيه قائلا :

- لا تشغلي بالك بوجودي .

أجابت الفتاة بغضب شديد :

- اه ، ولكنني لا افعل إلا ذلك الآن .

والحق أن مجرد النظر إليه كان يوترها : مزيج غريب من الرغبة والضيق . إن "جريج" لا ينظر إليها بهذه الطريقة ابداً ، وعيناه تشعان بالهدوء والرقة

والحب دائماً .

فكرت الفتاة في أن تؤكد له تجاوزه للحدود كما أنها تشعر بالخجل الشديد أمام هذه النظرة ، فقالت لاهثة :

- كيف تجرؤ على البقاء هنا ...

- هذا يكفي يا "هيلين" !

استند "هيرمان" على الباب ورفع كتفيه بنفاد صبر ، فبدا على الرغم من هيئته العريضة ، نحيفا جداً كما أن قامته كانت متوسطة الطول ، ومع ذلك تبدو عليه القوة والثقة بالنفس مما يجعله مهيبا .

- إننا وحدنا الآن ، فلا داعي لذلك إذن ...

- أنا لا أعرف عن أي شيء تتحدث !

بدا الضيق في عيني "هيرمان" .

- أنا افهم جيداً أن هذا الأمر يشعرك بالضيق أمام عائلتي ، ولكن لماذا تصرين على أداء نفس اللعبة معي الآن ؟ هل تخافين أن أخبر "جريج" ؟

- ما الذي يمكنك أن تخبره به ؟

نظرت إليه الفتاة بريبةوهي مقطبة الجبين وقالت :

- أنت تحت تأثير مخدر ما ؟

- أنا لا اتناول حتى الأسبرين .

- ربما تكون قد افرطت في تناول الكحوليات في الطائرة ؟

- أنا اشرب قليلا ، والحق أنني كنت مثاليا في هذه الأعوام الأخيرة .

- ماذا ؟ إن والدتك نفسها لن تصدق ذلك !

- الهذا السبب ترفضين التحدث إليّ ؟ انت تحقدين عليّ لأنك تعتقدين أنني نسيتك ؟ ولكن انا الذي يجب أن احقد عليك ، فلم يكن باستطاعتي العثور عليك، اما انت فكان يمكنك ذلك ، لأنني - كما تقولين - من المشاهير ... لماذا لم تحاولي ذلك ؟ ... إلا إذا كانت خطبتك لشقيقي وسيلة للوصول إليّ ؟

صاحت "هيلين" في ضيق :

– لقد وافقت على الزواج من أخيك لسبب واحد وهو أنني أحبه ، كما أنني لاأعرف عن أي شيء تتحدث ! هل يمكنك الآن التفضل بتركي وحدي : أريد ارتداء ملابسي !

– أنت تعرفين أن ذلك مستحيل .. ليس قبل أن نوضح كل شيء .

– ما الذي تريد توضيحه ؟

– نحن ... قصتنا .

– نحن ؟ لا يوجد نحن . لقد تعرفنا من ساعة واحدة .

وفجأة تجاهلت "هيلين" وجوده تماما وبدأت ترتدي ثوبها ، وبعد ذلك تنفست بعمق وجاهدت لأن تتحدث بصوت هادئ :

– اسمع يا "هيرمان" يبدو . أن هذه الرحلة أرهقتك كثيراً .. لو تذهب لتستريح قليلا ..

– أرجوك الا تتحدثي معي بهذه الطريقة المتعجرفة يا"هيلين" .

– أنا لا أتحدث بعجرفة .. ولكنك مضطرب ..

– هكذا كان تأثيرك عليّ دائما .

– تقول ذلك ثانية ! كف عن الحديث معي وكأننا تقابلنا من قبل ! فأنا لم أرك قبل الآن .. إلا على غلاف كتبك ..

نظر إليها "هيرمان" بقسوة وتهديد ، ثم قال :

– هل تنوين الاستمرار في هذه اللعبة طويلا ؟

– ولكنني لا ألعب يا"هيرمان" ! حقا أنا لا أفهم عن أي شيء تلمح !

– هل لك أكثر من عشيق حتى تنسي أول رجل أخذك بين ذراعيه ؟

انفجرت "هيلين" في الضحك بينما كانت – في داخلها تحتقر نفسها وتحتقره .

– كنت أعتقد أن المرأة لاتنسى أبداً أول عشيق لها .

اكتست ملامح "هيلين" بالغضب ، وصرخت قائلة :

– يبدو أنك تهذي تحت تأثير المخدر ! أو أنك مجنون ! فنحن لم نتقابل أبداً من قبل ، ولم نكن أبداً ...

– تذكري يا"هيلين" .. "هونج – كونج" ، منذ خمسة أعوام ، كان شعرك يميل إلى اللون الأشقر ، ولكن ذلك كان متنافرا مع لون بشرتك الطبيعي .

صاحت الفتاة :

– تأكد أنني لم أفكر في تغيير لون شعري طوال حياتي !

وهكذا كنت دائما سمراء ! كما أنني لم أذهب أبداً إلى "هونج كونج" ! ويمكنني أن أثبت لك ذلك ، فلدي جواز سفر عمره حوالي ست سنوات ، هل تريد أن تراه؟

جمد "هيرمان" في مكانه وظل مسلطاً نظراته على الفتاة كأنه يريد أن يتأكد ما إذا كانت حقا صادقة أم كاذبة .

وفجأة تغير تعبير وجهه تماماً وبدا مذهولا ، ونفس الشيء بالنسبة لـ"هيلين" التي كادت تفقد وعيها لشدة غضبها ، والحق أنه لم يكن يسخر منها ولكنه يعتقد أنه رآها من قبل .

وأخيرا سألها بهدوء :

– إذن أين كنت منذ خمس سنوات ؟

استراحت "هيلين" بعض الشيء وأخذت تفكر قليلا ، ثم قالت :

– كنت في "انجلترا" ... نعم كنت هناك ، لقد وصلت إلى "انجلترا" في بداية شهر أكتوبر (تشرين الأول) ، وبقيت هناك مدة شهرين ، ثم توجهت إلى "الولايات المتحدة" حيث تقيم شقيقتي مع زوجها ، وأقمت هناك لمدة عام كامل قبل أن أعود ثانية إلى "نيوزيلندة" .

– كم كان عمرك آنذاك ؟

– ٢٤ عاما .

همس "هيرمان" :

– ٢٩ عاما ...

وفجأة ابتعد عن الباب وتقدم نحوها ، ولكن "هيلين" لم تشعر بأي خوف تجاهه .

– هل هذا حقيقي ؟ متأكدة ؟

– بدون شك ... وأكرر لك انني على استعداد لأن أريك جواز سفري والأختام الموجودة عليه كدليل على صدق كلامي ، اسمعني ، أنا لاأعرف من هذه الـ"سميث"التي تتحدث عنها ، ولكنها ليست أنا" بالتأكيد .

وضع "هيرمان" يديه في جيبي سترته وتوقف أمامها وقال :

– أنا لاأعرف .. لنقل اسمها مثلا .

ثم أخذ يتأمل ملامح وجهها كأنه يقارن بينها وبين الصورة المحفورة في ذاكرته.

– لقد أخبرتني أنها تسمى "سميث" ولكنني.كنت أعتقد أن ذلك مجرد مزاح ...

– ربما لا ، فهناك عدد كبير جداً من الناس يحمل لقب "سميث" .

نطقت "هيلين" بهذه الجملة الأخيرة وهي تحاول بكل جهدها السيطرة على نفسها . حتى لاتفقد توازنها أمام حدة نظراته .

– أنت تشبهينها كثيراً .. ربما يكون لديك أخت توم ؟

هزت الفتاة رأسها بالنفي ، فقال "هيرمان" :

– شبيهة لك ؟ ياإلهي ، كنت متأكدا أن ..

بدا تائها وسط أفكاره وكأنه يتحدث إلى نفسه .

قالت "هيلين" :

– هل .. كان بها شيء مميز ؟

والحق انها كانت تشعر بالفضول لمعرفة هذه الفتاة التي أثرت في مثل هذا الرجل كل هذا التأثير .

– نعم .. شيء مميز جداً .. لقد أدركت ذلك لتوي .

– هل كنت تحبها ؟

فجأة ، بدا لها هذا السؤال غير معقول .

– كلا ، بالتأكيد ، لايمكن أن تكون قد أحببتها ، فأنت لا تعرف حتى اسمها .

– لم يكن لدينا الوقت لنتعارف .

فهمت الفتاة مغزى كلامه ، فشعرت بالارتباك وتمتمت :

– حسب فهمي ، كنت أنت وهي ...

– مجرد مغامرة عابرة .. ليلة .

فوجئت الفتاة بالإجابة ، ثم قال "هيرمان" :

– ويالها من ليلة !

– وهل تظن أنني من طراز هؤلاء الفتيات .. من النوع الذي يغامر بقضاء ليلة مع رجل لا أعرفه ؟

اكتسى وجه الفتاة بالضيق وأضافت :

– كيف تجرؤ على أن تراني مثل الغانية ؟

– لم أكن أقصد ذلك ! كما أنني لم أرد أن أقول أي شيء يخصك ، ولكن الآنسة "سميث" لم تكن أبداً غانية ، فقد كانت عذراء ، وكانت في غاية الخجل ، هي الأخرى ، واعتقد أنها لن تفقد حياءها أبداً مهما اقتربت منها...

قاطعته "هيلين" :

– لا داعي لذكر التفاصيل ، فهذا شيء لا يعنيني .

كان "هيرمان" قد نسى تماما إلى من يتحدث ، والحق أنه بمجرد أن ينظر إليها كانت تشتعل رغبتها .

– "هيرمان" .. أرجوك !

– ماذا ؟

كان لايزال ينظر إليها بنفس الطريقة .

– معذرة يا "هيلين" .. ولكنك قرينتها ، وأخشى أن أسبب لك إزعاجا دائما بسبب ذلك ...

سألته الفتاة بعصبية :

– ماذا كنت تفعل لو كنت أنا هي .. أقصد الآنسة "سميث" ؟

– ولماذا هذا السؤال ؟

شعرت الفتاة بالشك في عينيه ولاحظت أنه لم يقتنع تماما بأنه لم يتقابل معها من قبل ، فتمتمت قائلة بينما كان ينظر إليها ساهما :

– لأن .. "جريج" ..

- آه ، فهمت ، إذن لقد حكى لك "جريج" ماحدث بيني وبينه ؟
- بالتأكيد ، فنحن لانخفي شيئا عن بعضنا .
رفع "هيرمان" حاجبيه متشككا .
- وهل انت متأكدة أنك لم تخفي عنه شيئا ؟ إذن حسب مافهمت أنت تعتقدين انني افكر في إزعاجكما .. فأحاول الثأر منه بادعاء هذا اللقاء بيننا .. للمرة الثانية يا "هيلين" . هل أنت هي ؟
- كلا !
فجأة ، ظهر صوت "هانا" على السلالم وكانت تنادي :
- "هيرمان" !
زال التوتر عنه وابتسم قائلا :
- للأمهات دائما طريقة معينة في نداء ابنائهن ، الا ترين ذلك ؟ و مهما كان مايردنه من ابنائهن ، فنحن نتساءل دائما ما السبب في طلبنا !
قالت "هيلين" :
- ولكنها طريقة تبعث في انفسنا الطمأنينة مهما تقدم بنا العمر ، فأنا افتقد والدتي دائما وظللت حتى آخر لحظة في عمرها ابنتها الصغيرة ، في حين انني كنت في الثامنة عشرة من عمري وكنت اعيش بعيداً عنها انذاك .
ابتسمت الفتاة بدفء وأضافت :
- والآن تحل "هانا" محل امي .. فعندما تناديني اتذكر والدتي على الفور .
- يبدو انها تحبك كثيراً ، فلم تتوان عن المدح فيك في رسالتها إليّ عندما بعثت إليّ بصورتك .. والآن اعذريني على ماسببته لك من إزعاج يا "هيلين" ، كما انه افضل للجميع أن اكون مخطئا في ظنوني .
ثم انحنى نحوها ووضع شفتيه على خدها ، فشعرت الفتاة بقشعريرة تسري في جسدها ، ثم ابتعد عنها متردداً وقطب جبينه بينما كان ينظر إلى شفتيها ، ففهمت الفتاة على الفور فيم يفكر ..
تُرى هل كان لشفتيها نفس المذاق الرائع لشفتي الفتاة التي تشبهها .
صاحت "هيلين" :

- "هيرمان" ، كلا .
فنظر إليها وقال لها :
- أعتقد أننا نفهم بعضنا بسهولة جداً ..
ثم أضاف ببطء :
- فأنا لم أنطق بكلمة واحدة .. ومع ذلك ..
علا صوت "هانا" ثانية :
- "هيرمان" ، لقد أعددت لك الطعام !
تماسكت "هيلين" وقالت بصوت ضعيف :
- من الأفضل أن تذهب .. إن "هانا" تتحرق شوقا للحديث معك . كما أنني سألحق بكما حالا بعد أن أقوم ببعض الأعمال .
جاهد "هيرمان" في تهدئة نفسه ثم قال :
- اتفقنا .. لن تفوتنا الفرصة لنتعارف مادمت سأبقى هنا عدة أسابيع أخرى...
ثم ابتسم لها ابتسامة جعلتها ترتجف .. إن ذلك حقا ماتخاف منه !
قطبت الفتاة جبينها ، فرفع "هيرمان" يديه نحو السماء وقال وهو يرجع إلى الوراء :
- سأتركك ! إلى اللقاء !
وكانت ابتسامته مشوبة بسخرية واضحة .
- فأنا لا أريد لأمي أن تصعد إلى هنا فتجدني في حجرتك فتظن بك السوء!
- لا يمكن لأي شخص أن يظن بي السوء ، كما أنني لا أسمح بذلك !
همس قائلا وهو يبتسم :
- سأتذكر ذلك .
ربما يكون ذلك وعدا منه !
بعد أن غادر "هيرمان" الحجرة ، أخذت "هيلين" تقطع المكان جيئة وذهابا بعصبية شديدة ، وشعرت أنها متورطة في شيء ما بطريقة غير واضحة ..
تُرى ما الذي يملكه "هيرمان" ليوصلها إلى حد الشك في نفسها ؟

الفصل الثاني

كان الجو متوترا اثناء تناول العشاء ، والحق ان "هانا" و"نيكولا" كانا سعيدين جداً بعودة ابنهما، ولكن ما إن راح اثر المفاجأة حتى لاحظت "هانا" ان علاقتهم ببعضهم يشوبها بعض التحفظ ، وفي البداية لم تستطع تعليل ذلك ، ولكنها ادركت بعد قليل انهم يتحاشون التحدث عن الابن الأصغر خاصة وان خطيبته تشاركهم الجلسة ، ولم يذكره احد إلا عندما اخبرا "هيرمان" ان "جريج" يقيم حاليا في "سيدني" ولن يعود قبل يومين ، تُرى هل ستتسبب زيارة "هيرمان" المفاجئة في توتر الجو العائلي الآن ؟

ولم يفكر "هيرمان" في طمأنتهم ، كما انه لم يذكر عن كتابه الجديد إلا القليل ، فقال :

- إنها مجرد فكرة غير مؤكدة ، ولا أعرف حتى الآن ما إذا كنت سأفعل فيه شيئا الآن أم لا ، الحقيقة اني حضرت هنا خصيصا بحثا عن العزلة ، وكان زواج "جريج" و "هيلين" حجة لي .

ثم ركز نظراته على "هيلين" - التي خفضت عينيها ونظرت إلى الطبق الموجود امامها - ، واضاف :

- إنني في حاجة إلى بعض الهدوء ...

ثم سألته والدته بقلق :

- الا تعاني اي شيء ؟ الست مريضا ؟

- كلا ، كوني مطمئنة ياامي .. وكما قلت لك كل ما احتاج إليه هو قليل من الراحة .

تقبل "نيكولا" و "هانا" حديث ابنهما بنظرة تشكك ، والحق ان "هانا" لم تقتنع بما قاله ، وكان "هيرمان" على الرغم من إرهاق السفر ، يتألق حيوية ومن الواضح انه ليس من طراز الرجال الذين يفضلون البطالة ولو كانت مؤقتة .

ظلت "هيلين" تراقبه طوال الوقت خلسة محاولة تذكر كل ما قيل عنه من قبل ، ففي السادسة والثلاثين من عمره ، وصل "هيرمان نايت" إلى قمة مجده ، ولكن النقاد لم يستطيعوا ابداً ان يؤكدوا ما إذا كان ينوي الاستمرار في مجال كتابة القصة أم لا .

وقبل ذلك بعشر سنوات ، كان "هيرمان" من افضل الصحفيين في "نيوزيلنده" ، وبعد فشله في تجربة زواجه ، رحل تاركا بلاده ليعمل كمراسل صحفي لجريدة استرالية ، ثم حدث ان تم اختطاف الطائرة التي كان يسافر على متنها مما اثار ضجة عالمية ، وبعد عدة أعوام من هذه الحادثة ، أصبح لتوقيع "هيرمان نايت" على بعض مقالاته الصحفية شهرة تخترق الآفاق .

ولم تكن اي حادثة تقع ، او اي معركة تدور إلا ويزج "هيرمان" بنفسه في خضم أحداثها ، وخلال الفترة التي يكرسها لكتابة هذه المقالات الشهيرة ، بدا يكتب ايضا سلسلة من القصص التي لاقت رواجا لا مثيل له ، والحق أن قصصه كانت حافلة بمشاهد العنف واليأس مما كان يؤثر في "هيلين" كثيراً .

وبعد ذلك افل نجم "هيرمان" لفترة ما ، وجرت الشائعات التي تؤكد قيامه بتحقيق ما حول عملية سرية وخطيرة ، ومع ذلك رجع من جديد بخفي حنين ، فاعتبره البعض انتهى ككاتب وصحفي ، ويبدو انه كان غير سعيد بمهنته كمراسل صحفي خارج البلاد ، واكتفى بعد ذلك بإنفاق الثروة التي جمعها خلال هذه الفترة ، وكان يرفض تماما الإجابة عن الأسئلة التي وجهت إليه بصدد الأشهر الستة الأخيرة التي قضاها بعيداً .

وبعد عدة أسابيع ، بدأ اسم مؤلف جديد يدعى "ستيفان إيرانت" يجوب الآفاق، ومن المدهش أن قصته التي ظهر بها نالت إعجاب الجميع ولاقت رواجا فائقا ، وكانت قصة عاطفية تدور حول تجربة رجل انتقل فجأة من حياة يائسة إلى مستقبل حر مشرق ، فأعجب الجميع بحبكة الرواية وأسلوبها وسلوك الأبطال الذي جذب انتباه الآف القراء ، وكانت قصة

"ملاك في الظلمات" – هكذا كان عنوانها – تدور في جو غريب يتأرجح بين الحقيقة والخيال ، وبعد قراءة القصة ، كان القارئ يعجز عن تأكيد ما إذا كانت البطلة هذه ثمرة خيال البطل أم أنها حقيقة واقعة .

وبعد فترة ، عرف الجميع حقيقة شخصية المؤلف وكان :

"هيرمان نايت" ، فقوبل بترحاب عظيم ، وعلقت جميع الجرائد على هذه القصة بل ووصل الأمر ببعضها أن اعتبرت "نايت" ماهو إلا بطل القصة الحقيقي .

ثم ظهرت قصة ثانية تحت اسمه الحقيقي بعد عام واحد ، فوضعت حدا لهذه الشائعات حيث كانت تختلف تماما عن قصة "ملاك في الظلمات" ، ولكنها أحدثت دوياً عظيما في العالم الأدبي أيضا .

ونالت هاتان القصتان جوائز عديدة ، وبعد عام آخر ظهرت له قصة ثالثة حققت الرقم القياسي في المبيعات .

شعرت "هيلين" بالاستغراب كثيراً عندما وجدت نفسها جالسة أمام الرجل الذي اشتهر بأنه عملاق الأدب ، فعلى الرغم من الحياة التي كان يعيشها ، إلا أنها لم تلاحظ عليه أي شيء غير مألوف ، وكان قميصه الأبيض يعكس لون بشرته وذبولها ، وكانت حركاته غاية في المرونة ، الحق أنه كان رائعا في كل شيء .

ثم وجدت "هيلين" نفسها معجبة جداً بمظهره القوي ولونه البرونزي الذي يظهر من خلال فتحة قميصه وفجأة لاحظت أنه يلاحظ نظراتها نحوه ، فلم تستطع تحويل نظراتها عنه ، خاصة وأن البريق الغريب الذي كان يشع من عينيه كان يجعلها ترتجف بشدة .

– الست جائعة ؟

فوجئت "هيلين" بصوت "هيرمان" الدافئ والمسترسل .

ولاحظت أنها أبعدت الطعام الموجود أمامها بدون أن تعي ذلك .

– ليس بالضبط .

– إن الوقت يبدو لك طويلا بدون "جريج" ..

هل كان يسخر منها ؟ لقد تركت له "هيلين" فرصة الريبة في تصرفاتها ، فأجابت بلطف :

– لست من النوع الذي يشعر بالملل .

– عين الحكمة ! عدم التفكير في المصير والاستفادة من الحياة هذا صحيح :

رفع "هيرمان" حاجبيه ساخرا ، ولاحظت "هيلين" أنه فهم أنها تقصده بحديثها هذا .

قاطعتهما "هانا" قائلة :

– يبدو أن طعامي دسم جداً بالنسبة لـ"هيلين" ، فهي ترفض تناول المواد الدهنية ..

فاعترضت "هيلين" بصدق :

– أنت طباخة ماهرة يا "هانا" ، إن طعم الدجاجة رائع ! ولكنني لا أتناول أبداً كمية كبيرة من الطعام ..

قال "هيرمان" وهو يشير إلى الكوب الفارغ أمام "هيلين" :

– ولكنك لن ترفضي قليلا من العصير على ما أعتقد !

أجابت "هيلين" :

– أنا لا أرفض شيئا ، كما أنني أعتقد أنني معتدلة في كل شيء .

– الاعتدال في كل شيء ، أليس كذلك ؟ إذن لقد وجد "جريج" نموذجا للفضيلة فيك !

– الحقيقة أنا التي وجدت "جريج" في الوقت الذي كنت أطمح فيه لشيء أقل من ذلك !

كانت "هيلين" تقول الحقيقة ، فقد كانت تفكر في عدة مشاريع آنذاك ، كان الزواج أحدها ، ولكنها تعرف أيضا أن الإنسان قد يشعر أحيانا بالندم على أشياء لم يفعلها ، لذلك لم تتردد لحظة واحدة عندما وقعت في حب "جريج" . ولاداعي إذن لأن تدعي أنها لم تكن تنوي الزواج بسرعة .

تدخلت "هانا" قائلة :

– "هيرمان" ، هل أخبرتك في رسالتي أن "هيلين" تصمم "البلوڤرات" ؟ وقد كانت مجموعتها الأخيرة تحتل المكانة الأولى لأزياء مجلة "ڤوج" في الطبعة الأسترالية ، إنها تصمم فعلا "بلوڤرات" رائعة ! كما نجحت في تصميم "بلوڤر" رائع يحمل رسومات بعض أشجار الفواكه لوالدك . وأنت تعرف والدك ، في البداية رفض ارتداءه ، ثم بدأ يبحث عنه بعد ذلك ليرتديه، أليس كذلك يا "نيك"؟

فقال "نيكولا" :

– لقد فعلت ذلك لسبب ملموس وهو أنك قمت بالتبرع بكل ملابسي الصوفية .

فابتسمت "هيلين" بخبث لـ"نيكولا" ، فقد أهدته "هانا" هذا البلوڤر في عيد ميلاده وهي تجهل تماما أن "هيلين" اتفقت معه مسبقا على الموديل ، فقد خشيت "هيلين" أن تنفذ البلوڤر بدون الاستعانة برأي "نيك" حتى لا يرفضه .. والحق أنه كان مولعا بالأزهار ، لذلك سعد كثيراً بفكرة "هيلين" كما أنه أبدى استياءه في البداية لهذا العمل حتى لايضيع على "هانا" سعادتها بالمفاجأة التي أعدتها من أجله .

ففهم "هيرمان" مغزى النظرات التي تبادلتها "هيلين" مع والده وقال :

– ربما أحتاج أنا أيضا إلى "بلوڤر" جديد .

فاقترحت "هانا" :

– لماذا لا تطلب من "هيلين" أن تصمم لك واحداً أثناء إقامتك هنا ؟ مارأيك يا "هيلين" ؟ إنها دعاية رائعة لك عندما يرتدي "هيرمان نايت" "بلوڤر" من تصميمك !

أجابت "هيلين" :

– إن وقتي مزدحم بأعمال كثيرة .

قال "هيرمان" كأنه يرجوها لقبول العرض :

– إن الشتاء في "نيويورك" غاية في البرودة .

– هل تقضي الشتاء في "نيويورك" ؟ كنت أعتقد أنك تقضيه دائما مع ...

أقصد في بلاد حارة .

– كأنك تحاولين دائما معرفة أشياء كثيرة عني ، فأنت ملمة بمعلومات كثيرة!

صاحت "هانا" :

– كف عن مضايقة "هيلين" .. إن حياتك الخاصة لاتخفى على أحد .

أشار "هيرمان" نحو رأسه قائلا :

– كلا ! إن تفاصيل حياتي الخاصة هنا ، وما هو معروف عني يخص حياتي العامة مادام ذلك يرفع عدد مبيعات قصصي ...

رفع "هيرمان" كتفيه ، ثم استدار نحو "هيلين" التي بدأت تشعر ببعض الهدوء وقال :

– أقسم أن حياتي خالية من أي مساوئ وأفعال خارجة كما يقال يا "هيلين" .. والآن هل توافقين على حمايتي من عناء البرد القارس خلال الشتاء القادم ؟

جاهدت الفتاة لكي تبتسم وهي تقول :

– ما الشكل الذي تفضله بالضبط ؟

– ما رأيك في هالة ؟ نعم .. هالة وسط خلفية سوداء ... فكرة تلائم الظروف ، أليس كذلك ؟ كما لو كنت أبحث عن . الملاك الذي ينتمي إلى هذه الهالة ، حجة رائعة لأحتضن بها الفتيات .

نظرت إليه "هيلين" بغضب ، فانفجر "هيرمان" في الضحك .

– لنحاول إذن ، عديني بذلك فقط ! وإذا لم تعجب السيدات بهذه الهالة ، فسأبعدهن عنها فوراً !

– ولكني أحذرك أن أسعاري باهظة جداً .

قال "هيرمان" بصوت هادئ :

– لا أهمية للمال نهائيا .

تدخل "نيكولا" قائلا :

– ليس بالنسبة لـ"هيلين" ! فهي تدخر أموالها من أجل تمويل رحلاتها ..

إنها متعة حقيقية يا"هيلين" ، اليس كذلك؟ لقد سافرت كثيراً .. "أوروبا" .. "آسيا" ..

فقال "هيرمان" موجها حديثه لأسرته كأنه يحاول ضبطها متلبسة بالكذب :

- "هونج كونج" ؟

فأجابت "هيلين" بصوت حاد مما ادهش "هانا" :

- كلا لم اذهب إلى "هونج كونج" .

وهنا قالت "هانا" :

- ليس بعد ، ولكن من المؤكد انك ستذهبين هناك لزيارة شقيقتك .

- شقيقتك ؟

قفز "هيرمان" في مكانه ، واضاف :

- لقد اخبرتني أن شقيقتك تقيم في "الولايات المتحدة" .. ربما كان لك شقيقة أخرى ..

- كلا ، إن "سوزان" شقيقتي الوحيدة ، وزوجها يعمل في شركة دولية للمنتجات الكيميائية ، ولذلك يتنقلان كثيراً ، والآن هما في "هونج كونج" .

- هل هي هناك لأول مرة في حياتها ؟

اجابت "هيلين" بجفاء :

- نعم ..

فهي تعرف جيداً ما الذي يريد الوصول إليه ...

قالت "هانا" وهي تنهض لتنظف المكان :

- فيما عدا الفترة القصيرة التي قضتها هناك عندما كانت مريضة .

ساد صمت رهيب بعد حديث "هانا" البريء ، وهنا جاهدت "هيلين" لتقول :

- آه ، نعم .. هذا حقيقي !

والحق أن "هيلين" نسيت فعلا هذه الفترة ولكن "هيرمان" لن يصدق ذلك بالتأكيد.

همس "هيرمان" قائلا :

- مريضة في "هونج كونج" ؟ لابد أن ذلك كلفها كثيراً .

- لقد تكفلت الشركة بكل مصاريف العلاج ، لقد رحل "جاك" و"سوزان" إلى "المانيا" ومنها إلى "الولايات المتحدة" ، ثم "سنغافورة" واخيرا "هونج كونج" وهناك اصيبت "سو" بالتهاب في الأذن ولم تستطع بالتأكيد استقلال اي طائرة، فاضطرت للبقاء هناك ثلاثة اسابيع .

سأل "هيرمان" بتحفظ :

- متى كان ذلك ؟

رفعت "هيلين" كتفيها :

- منذ عدة أعوام ...

فأكدت "هانا" :

- ولكنك قلت لي : إن ذلك حدث عندما كنت في "انجلترا" ..

أي منذ حوالي خمس سنوات ..

قال "هيرمان" بنفاد صبر :

- كم عمر أختك ؟ وهل هي تشبهك ؟

أجابت "هيلين" :

- ليس بالضبط ، ولكنها اكبر مني بأربع سنوات ، ومنذ خمس سنوات كانت حاملا في طفلها الأول !

هكذا وضعت "هيلين" نهاية لشكوكه .

- كانت في أي شهر من الحمل ؟

هل تكذب عليه ؟ ولكنها أجابت رغما عنها :

- لا أعرف .. ولكنني أعتقد انها كانت في بداية الحمل .

رفع "هيرمان" حاجبيه وهو ينظر إليها بحنق ، وكانت "هانا" تأخذ الطبق الموجود امام "هيلين" وتقول لها :

- لقد اعددت الحلو خصيصا لك يا"هيلين" .. طبق سلطة بالفواكه الطازجة،لاتتحركي من مكانك .. سأدبر أموري بنفسي ...

سأل "نيكولا" عندما ذهبت زوجته إلى المطبخ :

- لم كل هذا الاهتمام بأمر "سوزان" ؟

- لأنها لو كانت تشبه "هيلين" ، فربما أكون قد تقابلت معها في "هونج كونج" منذ خمسة أعوام .

اكتست ملامح الفتاة بالغضب .. ولكنه لن يحكي لوالده أي شيء بشأن هذه القصة !

وأكد "هيرمان" :

- عندما رأيت "هيلين" ، ظننت أنني أعرفها ، وخيل إليّ أنني رأيتها هناك ولكنها أخبرتني أنني مخطئ .

قال والده بفضول :

- آه .. وأين تقابلت معها ؟

- خلال أمسية ..

أكدت "هيلين" بصوت هادئ :

- لم تكن شقيقتي .

رفع "هيرمان" كتفيه قائلا :

- أتعتقدين ذلك ؟

- أنا متأكدة من ذلك .. فشقيقتي تعشق زوجها وكانت سعيدة جداً بأمر حملها .. ولا أعتقد أنها كانت ستقضي ليلة واحدة بعيدة عنه ..

قال "هيرمان" في ضحكة سيئة جداً :

- قد نعتقد خطأ أننا نعرف هؤلاء القريبين منّا ، ولكنهم يكونون أول من يخدعنا .

- "هيرمان" !

- عندك حق يا والدي ، لا داعي لتذكر القديم .

ثم استدار نحو "هيلين" بطريقة مرعبة وقال :

- إذن أنت تعشقين السفر .. فهل ذهبت إلى "اليونان" خلال فترة إقامتك في "أوروبا" ؟

دار الحديث بعد ذلك حول المغامرات والأحداث التي تقع للأشخاص في الغربة، ثم اتجه الجميع إلى حجرة استقبال الضيوف لتناول الشاي

والقهوة ، وهناك دار الحديث حول برنامج "هيرمان" .. أحاديثه الصحفية ومقابلاته خلال الأسبوعين القادمين، ثم تحدثوا بشأن الإعداد لحفل الزفاف ، ثم سأل "هيرمان" عن الشخص الذي اختاره "جريج" ليقوم بدور الوصيف خلال الحفل، وهنا تبادلت الأسرة النظرات في ارتباك واضح .

فتمتمت "هانا" قائلة :

- حسن ، فهو لم يتخذ قراره بعد .. و عندما علم بقدومك .. فكر في .. كان يتساءل ..

وأخيرا قال "نيكولا" :

- كان يفكر هل ستقبل ذلك ؟

تمتم "هيرمان" بصوت أجش :

- ولم لا .. لقد قام بدور الوصيف لي بمهارة .

دُهشت "هيلين" عندما سمعت هذا الحديث ، فلم يكن "جريج" قد تحدث معها بهذا الشأن ، لذلك التزمت الصمت .

ثم تابع "هيرمان" حديثه :

- أعتقد أنه طلب منك جس نبضي أولا .. هكذا هو دائما .. يحاول إلقاء المسؤولية دائما على عاتق الآخرين .

ثم نظر إلى "هيلين" بحدة كأنه يتحداها أن تفكر في الدفاع عن خطيبها ، ولكنها التزمت الصمت دائما .. فعندما يتطرق الموضوع لشؤون عائلية ، فإن تدخلها قد يزيد الأمور تعقيداً .. ومهما قالت "هانا" ، فهي لم تصبح بعد عضوا في العائلة .

قالت "هانا" :

- لم يكن يعرف كيف ستقبل الأمر .

- لو كان يريد أن يعرف فيم أفكر ، لكان يكفيه مجرد سؤالي بنفسه .

- ولكن ...

فقاطعها "نيكولا" :

- "هيرمان" محق في قوله يا "هانا" ، ولم يكن من حقنا أن نتحدث في هذا

الشأن ، فالأمر يخصهما وحدهما .

نهضت "هيلين" لتساعد "هانا" في غسل الصحون وغابت في المطبخ أكثر من اللازم ، ولأنها لم تجد الحجة المناسبة لعدم قضاء الأمسية معهم ، فكرت في الاهتمام بعملها في هذا الوقت ، وتوجهت إلى حجرة استقبال الضيوف حيث جلست على الكرسي الضخم المكسو بالقماش المملوء برسومات الأزهار ، بينما جلس "هيرمان" مع والدته يتحدثان على الأريكة ، في حين جلس "نيكولا" يدخن غليونه على الكرسي الهزاز .

وبعد قليل توجهت "هانا" إلى المطبخ عندما دق جرس التليفون فأمسكت بالسماعة ، ثم قالت :

- مكالمة لك يا "هيلين" .. إنه "جريج" من "سيدني" .

جرت "هيلين" لتمسك بالسماعة وهي تتنفس الصعداء وأخذت تتحدث بسرعة سعيدة بشعورها بحب هذا الصوت الذي اعتادت سماعه ، فقالت بحماس :

- إنني افتقدك كثيرا .

أجابها "جريج" ضاحكا :

- وأنا ايضا .

ثم صمت قليلا للضوضاء التي علا صوتها على الخط ، وأخيرا قال "جريج" :

- لقد أخبرتني أمي أن "هيرمان" حضر إلى المنزل .

- نعم كنت هنا عندما حضر ، لقد أتى مباشرة من "نيويورك" ، وكان من المؤكد أنه متعب ولكنه لم يظهر ذلك .

- إن "هيرمان" كان يظهر حيوية دائمة .

كان "جريج" يتحدث بجفاء مما جعل "هيلين" تتساءل ما إذا كان ذلك إطراء أم نقداً .

- هل قال شيئاً عني ؟

- كلا .. كلا ، ليس بالضبط .

هل تخبره بما قاله عن "هونج كونج" ؟ ولكنها قررت انه لاداعي لذكر ذلك في التليفون .

ثم أضافت :

- أنا .. لقد سألته والدتك ما إذا كان يوافق على أن يقوم بدور الوصيف لك ..

- حسن .. رائع .. لقد فكرت في أن ذلك سيكون حركة لطيفة ، اتفهمين .. وبماذا أجاب ؟

- بأنه كان يجب عليك إخباره ذلك بنفسك .

ساد صمت من جديد .

- حسن ، سنتحدث عن ذلك لدى عودتي .. سأعود غدا في المساء وليس يوم الاثنين صباحا .. هل يمكننا أن نذهب لتناول العشاء معا في أي مكان؟

- أنا كلي لك !

- سنتحدث عن ذلك عندما أعود ، والآن إلى اللقاء ياعزيزتي .. أحبك .

- أنا ايضا أحبك يا "جريج" .

وضعت "هيلين" السماعة بينما كانت ترتسم على شفتيها ابتسامة حالمة .

- هل تحبينه ؟

كان الصوت هامسا ومع ذلك قفزت "هيلين" من مكانها ونظرت حولها فوجدت "هيرمان" واقفا في ظل السلالم ...

فقالت بفخر :

- كثيراً .

- ياله من شخص سعيد "جريج" ! وهو هل يحبك "كثيراً" ؟

- بالتأكيد وإلا ماكنا اتفقنا على الزواج !

- ولم هذه السرعة ؟ فقد علمت من والدتي انكما لم تتعارفا إلا منذ شهرين اثنين.

- ولم الانتظار ؟ فلا أنا ولا هو نرى ضرورة لذلك !

www.elromancia.com

تقدم "هيرمان" نحو النور وقال :

– هناك الف سبب للزواج غير الحب ...

دُهشت "هيلين" لهذه الملاحظة وقالت :

– حسن .. وماهي ؟

– قد تكونين حاملا!

– ليس هو الأمر !

– ربما تجذب ثروته انتباهك ..

– إن المال لا يمثل قيمة كبيرة كما قلت منذ قليل ، و"جريج" يملك مزايا عديدة في نظري ، فهو جذاب ، ذكي .. كما انه ليس في حاجة إلى أن يدعي انه تقابل مع شخص ما من قبل حتى يتعرف عليه ...

اكتفى "هيرمان" بابتسامة سريعة ، ثم قال :

– ومن ناحية المظهر ؟

– ماذا تقصد بالمظهر ؟

– يبدو انكما متحمسان ، وقد يجذبكما المظهر والناحية الجسدية لشيء اخر اعمق ، إن ذلك يحدث كثيراً .

– اشكرك على كل حال ، ولكننا ناضجان بالدرجة التي تسمح لنا بتقدير مشاعرنا بدون مساعدة أحد .

– "هيلين" ...

وعندما دلفت إلى حجرة استقبال الضيوف ، وضع "هيرمان" يده على ذراعها وقال :

– انا اعتذر عما بدر مني .

ثم تركها نادما ووضع يده على شعره كأنه يحاول تصفيفه .

– لا تحقدي عليّ كثيراً .. اتعرفين انه بعد فشلي في الزواج ، اصبحت متشككا من وجود اي عقبة في طريقي ، فلأن يشعر الإنسان بالحب يوما بعد يوم .. فذلك لا يمثل لي اية اهمية !

فلا ترتكبي نفس الخطأ مثلي !

والحق أن فشله في الزواج لم يكن السبب الوحيد في موقفه هذا ، اقتنعت "هيلين" بحديثه وشعرت بأن غضبها يتلاشى شيئا فشيئا ، وعندما نظرت إليه في النور ، لاحظت انه مرهق و مضطرب ، كما شعرت انه يعاني الوحدة وانها ترغب في مواساته ولكنها تخاف من ذلك .

بعد قليل ، توجهت الفتاة إلى حجرتها ، وارتدت قميصا من القطن المزهر كانت "هانا" قد اعدته لابنة أختها ، ثم فتحت النوافذ الصغيرة للحجرة ذات السقف المنحني ليتسلل منها هواء الربيع المنعش لمدة دقائق قبل أن تخلد إلى النوم ، وما إن قررت التوجه نحو فراشها حتى سمعت صوت طرقات خفيفة على باب الحجرة.

لابد انها "هانا" جاءت لتستفسر عن راي "هيلين" في ابنها .. فكيف تخبرها بذلك بدون أن تسبب لها الضيق ؟

ولكن الطارق لم يكن "هانا" ، بل كان "هيرمان" الذي وقف مستندا على الباب حتى كاد يقع عندما فتحت له "هيلين" .

القت الفتاة نظرة إلى الخارج فلم تجد أحداً ، وعندئذ تمتمت قائلة :

– ماذا تريد يا"هيرمان" ؟

– أريد أن أقول لك تصبحين على خير !

كانت عيناه تشعان ببريق رقيق وكان "هيرمان" ينظر اولا إلى وجهها ثم إلى كتفيها ثم إلى جميع أجزاء جسدها ، وكان يرتدي برنسا من النسيج الأبيض وقد أحكم غلق أزراره حتى النهاية .. ربما على سبيل الحياء ، ولكنه كان يعكس لون جسده البرونزي واضحا.

قالت "هيلين" بجفاء :

– حسن ، تصبح على خير !

وما إن حاولت إغلاق الباب حتى وضع "هيرمان" يده على المقبض ليحول دون غلقه ، فقالت "هيلين" :

– "هيرمان" ...

– هل كانت شقيقتك ذات شعر أشقر منذ خمس سنوات ؟
– كلا ! الن تكف أبداً عن ذلك ؟ لماذا تتشبث برأيك إلى هذا الحد ؟
– هل كانت عيناها خضراوين مثلك ؟
– إن عينيها تميلان إلى اللون الرمادي أكثر من اللون الأخضر ، لكن ...
– وهل كانت بها شامة غريبة الشكل أعلى فخذيها من الناحية اليسرى .. اليس كذلك ؟
– كلا !
وبغضب شديد ، أبعدت "هيلين" يده بعنف عندما حاول أن يشير لها أين توجد الشامة التي يتحدث عنها ، ثم قالت بصوت مختنق :
– لم يكن لديها شامة في أي مكان من جسدها ، والآن كف عن مضايقتي يا "هيرمان" ، وإلا أنادي من في المنزل ، تصبح على خير !
وحاولت أن تركله في قصبة ساقه ولكنه ارتد إلى الوراء متفاديا الضربة ، وأخيراً أغلقت الباب في وجهه ، ثم أغلقت المزلاج أيضا واستندت بظهرها على الباب بينما كان قلبها يكاد يتوقف عن الحركة وعندما سمعت وقع خطواته يبتعد ، جاهدت الفتاة لكي تبتعد قليلا ، وعندئذ لاحت لها صورتها عبر مرآة الحجرة ، فشعرت بخوف شديد عندما لاحظت شحوبها ، وفجأة أصبحت ملامح وجهها أكثر قساوة ولمعت عيناها ، وشعرت بأنها ترتجف وأنها فقدت كل قوتها ، ثم بدأت ترفع ببطء قميص نومها ، وتجمدت في مكانها عندما لاحظت أعلى الفخذين لديها .. شامة على شكل هلال .

الفصل الثالث

– أنت كثيرة السكوت !
– مم ؟
أفاقت "هيلين" من أحلامها ونظرت إلى الرجل الذي يقود السيارة بجانبها
– آه .. كنت أفكر فقط ..
– في أي شيء ؟
ابتسم "جريج" وهو يثبت نظراته على الطريق أمامه ، وكان سعيداً حقا بسماع صوت رفيقته بجانبه ، ولكنها قالت :
– آه .. في أشياء ليس لها أهمية ، مثلا إلى أي درجة أحبك .
أوقف "جريج" السيارة بعنف محاولا التظاهر بالدهشة لسماعه هذا الاعتراف ، ولكنهما انفجرا في الضحك ، فاستراحت "هيلين" قليلا .
وكانت قررت الا تخبر "جريج" بتصرفات "هيرمان" واحتقاره لأن خوض مثل هذا الحديث العقيم أصبح متأخراً جداً ، فمنذ عودة "جريج" من "استراليا" من حوالي ثلاثة أيام ، وهناك جو من التفاهم والهدوء بينه وبين أخيه ، ولاتريد "هيلين" تعكير هذا الجو ، بالإضافة إلى أن "هيرمان" يبدو كما لو كان قد نسي سوء التفاهم هذا .. من المؤكد أنها تلقت صدمة رهيبة عندما حدثها عن هذه الشامة ولكنها تماسكت بسرعة ، ولم تكن أبداً تعتقد أنها الرفيقة غير المنسية في حياة "هيرمان نايت" .. إنها مجرد صدفة ولو أنها غريبة حقا .
قال "جريج" :
– أخشى أن تكوني قلقة بعض الشيء بشأن دعوة "هيرمان" هذا المساء .
– ولم ذلك ؟ أتمنى يا "جريج" الا تكون منزعجا لفكرة أن تطلب من أخيك أن يكون وصيفك ! أعتقد أنك تحدثت إليه في ذلك في الليلة السابقة وأن كل

شيء أصبح على ما يرام .

– لقد تحدثنا عن أشياء كثيرة ، والحق انني كنت أريد أن أعرف هل مازال يحقد عليّ بسبب ماحدث بيننا فيما مضى ، ولكنه أخبرني انها حكاية قديمة ، وكان مجرد تفكيري فيها يمثل مشكلة كبيرة بالنسبة له ، لقد قال لي بالحرف الواحد : يجب أن تكتشف ذلك بعينيك .. ماذا يعني بذلك ؟ أنا لا أفهم !

– أعتقد أن الأمر أصبح إيجابيا ، اليس كذلك ؟ وربما يريد أن يؤكد لك انه لم يعد يحقد عليك .. وأنه فعلا قادر على نسيان هذه القصة وعدم الاهتمام بها .. لماذا لاتفعل ذلك أنت ايضا ؟

– لانها لم تكن ابداً عديمة الأهمية !

فوجئ "جريج" بثورته هذه أكثر من مفاجأة "هيلين" نفسها ، ولكنه سرعان ما هدأ ثانية وابتسم لها معتذراً ، فقال :

– أعتذر يا عزيزتي ، ولكن ذلك بسبب الاضطراب الذي يسود حياتنا ! ولم أكن ابداً أتخيل انه سينسى ذلك ، ولكن لو كان ذلك حقيقياً ، فلماذا لايتحدث إليّ بصراحة ؟ إنه يعلم تماما أن حديثه معي سيريحني كثيراً .. فأنا أشعر دائما بالاضطراب في وجوده .. ألم تلاحظي الطريقة التي ينظر بها إلينا ؟ كم أن ذلك مزعج !

– يقال إن المؤلفين أكثر الناس تأملا وملاحظة ، ولابد أنه هو الأمر بالنسبة له وإن كان يشوب ذلك بعض التشويه للمهنة .. ومهما كان ، لم يكن "هيرمان" ليدعونا على العشاء هذه الليلة لو كان مازال يحقد عليك ، كما أنني أشعر أنه صريح جداً .

ولابد أنه يفكر في جذب انتباه هذه الـ .. التي دعاها معنا .

أضافت "هيلين" هذه الجملة الأخيرة وهي تبتسم ، وكان "هيرمان" ينوي مقابلتهما بصحبة صديقة قديمة تقابل معها صدفة أثناء الحديث الإذاعي الذي كان يُجرى معه .

قال "جريج" :

– لم يكن هناك داعٍ لأن يعذب نفسه هكذا ! إن "سيان" كانت دائما مغرمة به .. لقد عملا في الصحافة معا ، وعندما تزوج "هيرمان" لم تكف "سيان" أبداً عن ملاحقته حتى أن "اليس" ظنت في وقت ما أنه على علاقة بها ...

توقف "جريج" عن الحديث فجأة ، لقد قال الكثير ، إن "اليس" هذه هي زوجة أخيه السابقة ، ولم يعد أحد يستطيع ذكر اسمها في العائلة ، ولم يكن هناك صورة واحدة لها في البوم الصور الذي أعطته "هانا" لـ"هيلين" لتتفحصه .. ترى أي نوع من السيدات هذه المرأة لكي تنال إعجاب "هيرمان" لدرجة انه يتزوجها ؟

وماذا كانت أسباب الانفصال ؟

قال "جريج" :

– ها نحن أولاء قد وصلنا !

أوقف "جريج" السيارة الـ"جاجوار" الزرقاء اللون على الرصيف ثم أوقف المحرك وفك حزام الأمان ، ثم انحنى نحو "هيلين" لكي يقبلها ، فاستجابت له بحرارة فجذبها "جريج" نحوه بشدة .

والحق أنه عندما تقابل معها لأول مرة كاد الأمر ينتهي بهما في فراش "جريج" ولكنها أخبرته أنها عذراء ، فتراجع "جريج" وتعامل معها باحترام ، ولم يكن يريد منها أن تقدم على أي عمل مالم تكن راضية عنه ، كما أنه كان يريد أن يتأكد أولا من صدق مشاعرها نحوه ، والحق أن طريقة تعامله معها أثرت فيها كثيراً ! كان "هيرمان" وصديقته يجلسان معا ، وكانت صديقته "سيان ميلر" ترتدي ثوبا أبيض اللون يكشف عن كتفيها وصدرها ، وكان شعرها يبدو كهالة رائعة حول وجهها ، الموضوعة عليه مساحيق التجميل بعناية لافتة جداً ، وعندما رأتهما "هيلين" شعرت على الفور بالحقد تجاه "سيان" .. شعرت بمزيج من الحسد والعجرفة في آن واحد ، وإن كانت بعد أن تعرفت عليها ، زاد عندها الإحساس بالحسد.

توالت الأطباق الشهية الواحد تلو الآخر ، وكانت "هيلين" تشعر دائما

بالضيق ، وكان "هيرمان" يتذكر عن قصد بعض الأحداث التي مرت بينه وبين "سيان" في بداية حياتهما الصحفية ، وكانت "هيلين" تجلس بجانب "هيرمان" وتشعر مع الوقت بالقلق ، فقد كان "هيرمان" يتعامل معها كشقيق زوج غاية في اللطف والأدب ، وبعد الانتهاء من تناول الطعام ، تأكدت مخاوفها عندما وضع "جريج" يده في جيب سترته وهو يقول :

- حقا يا "هيلين" ، لقد اتيت بجوازي سفرنا من القنصلية وحصلنا على التأشيرة ، وكنت أريد أن أعطيك جواز سفرك ولكنني نسيت .

قالت "سيان" :

- هل سترحلون إلى الخارج ؟

- نعم ، إلى "البرازيل" لقضاء رحلة شهر العسل .

قالت "هيلين" مازحة :

- شهر عسل تخيم عليه سحابة من العمل ، فعلى "جريج" الذهاب إلى "البرازيل" لقضاء بعض أعماله ، ولم أكن أريد أن يرحل "جريج" هكذا سريعا فور زواجنا وهو وحيد .

وما إن مدت "هيلين" يدها لتتناول جواز السفر من "جريج" حتى أسرع "هيرمان" واستولى عليه قبلها ، وعندما همت بالاعتراض ، رفع حاجبيه قائلا :

- هل هناك ماتريدين إخفاءه عنا يا "هيلين" ؟

خفف هدوء صوته من حدة الموقف وما كان منه إلا أن تناول الكتيب الأزرق وبدأ يتفحصه .

- ربما كان هناك رحلة إلى "كولومبيا" او إلى "المثلث الذهبي" تريدين الاحتفاظ بها سراً ؟

- كلا بالتأكيد !

ما الذي يمكنها عمله حتى لايبدو رد فعلها غريبا إلى هذا الحد ؟

أتتحجج بانها لاتريده أن يرى صورتها الموجودة في جواز السفر عندما كانت في الثامنة عشرة من عمرها ؟ وكان ذلك قبل سفرها إلى "المانيا"

لدى "سوزان" و"جاك" عندما كانت وجنتاها غائرتين وكان شعرها طويلا ومقصفا ، الحق انها كانت تبدو كالشبح في هذه الصورة ! فقد كانت مريضة في ذلك الوقت .

قالت "هيلين" وهي تراه يتفحص العلامات الموجودة بجانب الصورة :

- ليس هناك أي علامة مميزة .. لو كان ذلك ماتبحث عنه .

لحسن الحظ لم يكن من الممكن أن تظهر الشامة في الصورة !

بدأ "هيرمان" يتفحص جواز السفر المملوء بالأختام وهو يبتسم ، وفجأة ارتجف وأعاد صفحتين إلى الوراء بيد مرتعشة ، وهنا تجمدت ابتسامته .

- كنت أعتقد أنك لم تذهبي أبداً إلى "هونج كونج" ...

- هذا حقيقي .

وبدون أن تنبس ببنت شفة ، مد "هيرمان" جواز السفر نحو "هيلين" وكان هناك ختمان لوزارة الهجرة التابعة لـ"هونج كونج" .. شعرت "هيلين" فجأة بتقلص في معدتها وقالت :

- أنا .. لكن ذلك مستحيل ، أنا لا أفهم ..

علق "هيرمان" قائلا وهو يركز نظراته الكئيبة والمتهمة على وجه الفتاة :

- ربما يكون قد قام شخص بسرقة جواز السفر واستخدمه قبل أن يعيده إليك ثانية .

شعرت الفتاة برأسها يحترق وكادت تفقد الوعي .

ثم تمتمت قائلة وهي تنظر إلى خطيبها مستعطفة :

- لابد أن هناك سوء تفاهم ..

ثم أضافت :

- أنا لم أذهب أبداً إلى هناك يا "جريج" ، أليس كذلك ؟

وقبل أن يفتح "جريج" فمه ، قاطعه "هيرمان" :

- وكيف له أن يعرف ذلك ؟ انظري إلى تاريخ الختمين ..

لم تكوني قد تعرفت على "جريج" في هذه الفترة ! انظري إلى التاريخ يا "هيلين" .

ازدادت دقات قلبها سرعة حتى كاد يتوقف ، فوفقا للتاريخ كانت "هيلين" قد ذهبت إلى "هونج كونج" منذ خمس سنوات أي في التاريخ الذي اكده لها "هيرمان" عندما تقابل مع هذه الغريبة الغامضة .. كادت الفتاة تفقد وعيها تماما وكانت تحرك شفتيها بدون أن تنطق بكلمة واحدة .

رمى "جريج" شقيقه بنظرة غاضبة وقال :

- دعيني أرى ذلك ياعزيزتي .

ثم تناول جواز السفر من بين يدي "هيلين" الجامدتين وبعد أن تفحص الختمين بسرعة ، رفع رأسه مبتسما وقال :

- نعم ، لقد قضيت يومين في "هونج كونج" دون أن تتذكري ذلك .. وليس هذا بغريب وفقا للظروف .

قال "هيرمان" متسائلا :

- أية ظروف ؟

قال "جريج" بلهجة جافة :

- ما هذا ؟ بأي حق توجه هذه الأسئلة إلى "هيلين" كما لو كانت متهمة ؟

- أرى فقط أنه شيء عجيب جداً أن ينسى شخص ما قيامه بمثل هذه الرحلة !

قاطعته "سيان" وهي تنظر إلى "هيلين" بحرارة :

- آه .. ليس ذلك بالشيء الغريب .. لقد كانت إقامتها هناك قصيرة ! فأنا نفسي لا أتذكر بعض الأماكن التي ذهبت إليها .. خاصة عندما أفرط في تناول الكحوليات ..

فشلت محاولتها لتهدئة الجو رغم ذلك ، ولكن "هيرمان" قال بصوت جاف وهو ينظر إليها بعينين حادتين :

- فقدان للذاكرة يا"هيلين" ؟ هل حدث ذلك بسبب تناول الكحوليات ؟

لم تستطع "هيلين" الدفاع عن نفسها ، ولكن "جريج" قال بغضب بارد :

- لو كنت تريد أن تعرف الحقيقة يا"هيرمان" ، فقد كانت "هيلين" مريضة جداً أثناء قيامها بهذه الرحلة .. ولودققت النظر في الختم الثاني ، لفهمت

أنها ذهبت إلى "هونج كونج" وهي في طريقها إلى "انجلترا" .. لقد كانت في طريقها إلى "لندن" لإجراء عملية جراحية أنقذت حياتها ..

- "جريج" !

لم يهتم "جريج" باعتراض "هيلين" ، وكان سعيداً جداً بوقف شقيقه عند حده .

- كلا يا"هيلين" .. فلا دخل لـ"هيرمان" بهذه القصة ، كما انه لن يتردد عن متابعة هذا الحديث مهما كان ذلك يضايقك ..

ثم وجه حديثه إلى أخيه قائلا :

- نعم لقد كانت "هيلين" مريضة بورم في المخ ، وقد أكد الأطباء انه لا علاج لهذا الورم بالتدخل الجراحي ، وفي هذا الحالة ، كان العلاج الكيميائي غير مجد ايضا ، ولحسن الحظ ، ظهرت آنذاك طريقة أخرى للعلاج بالليزر في "لندن" ، وكان هذا العلاج يلائم مرض "هيلين" كثيراً .. بالإضافة إلى أن هذا الورم كان يسبب لها فقداناً للذاكرة ، أرايت يا"هيرمان" أن نسيان "هيلين" لهذه الرحلة له مبرره .

ساد صمت رهيب بعد ذلك ، وشعرت "هيلين" بضيق فظيع ، كما انها كانت غاضبة جداً من "جريج" الذي يشعر بالانتصار ، فقد كان كل مايشغله هو مهاجمة "هيرمان" اكثر من فكرة دفاعه عنها ولم يكن فعلا يهتم بها .. لدرجة أنه لم يهتم بما ستسببه لها هذه الذكريات الأليمة عندما يتحدث عنها حول مائدة الطعام في مطعم ما .

قال "هيرمان" أخيراً :

- أعتذر يا"هيلين" .. لم أكن أعرف ..

- لا تعتذر يا"هيرمان" .. فلم يكن بوسعك أن تعرف ذلك .

تدخل "جريج" قائلا :

- في المرة القادمة ، حاول معرفة الحقائق أولا قبل الحكم على الأشياء .

ولكن "هيرمان" تجاهله تماما وقال لـ"هيلين" :

- لكن تسمحين لي .. هل دام هذا الفقدان للذاكرة طويلا ؟

كانت هذه الأسئلة تزعجها ولكنها لن تستطيع قول ذلك وإلا أعطت لـ"جريج" فرصة مهاجمة شقيقه ثانية ، فتماسكت قليلا حتى قالت :

– إنه يخص بعض أطلال الماضي .

ثم ابتسمت وتحاشت نظرات "هيرمان" الثاقبة لتوجه حديثها إلى "سيان" :

– إنه شيء محير جداً لدرجة انني أجهل ماذا حدث خلال هذه الفترة .. ولكنني أعتقد أنه ليس هناك أشياء مهمة ..

وفجأة ظهرت الحقيقة جلية أمام عينيها وجف فمها تماما ولم تستطع النطق بكلمة واحدة .. هي وهذا الرجل ..

حاول "جريج" تصليح موقفه أمام خطيبته ، فقال في خجل :

– الحقيقة ، ووفقا لما قاله الأطباء ، لم تنس "هيلين" كل ذكرياتها فهناك طرق كثيرة تؤدي إلى ذلك ، وفي كلمات علمية فإن الكروموسومات التي تقترن بالخلايا العصبية تجمع هذه الذكريات ، ولكي تتذكرها ثانية ، لابد من إعادة تفريغ هذا الجزء من المخ عن طريق كروموسومات جديدة .. أليس كذلك يا "هيلين" ؟

وافقته "هيلين" بابتسامة شاحبة ، فقال "هيرمان" :

– وكيف يتم ذلك ؟

– عن طريق تجميع الأفكار ، مثلا لاحظت "هيلين" أنها نسيت تماما فترة المدرسة الابتدائية كما لو كانت لم تمر بها أساسا ، ولكن بعض الذكريات كالبالطو الواقي من المطر وبعض الملابس الصوفية الخاصة بها أعادت إلى ذاكرتها قليلاً من الأفكار ، فتذكرت فترة وجودها في الفناء أثناء تناولها لسندويتش من الجبن ، ثم تذكرت مدرساً قديماً لها عندما سمعت صوتا يشبه صوته ، وفي النهاية عادت إليها ذكريات هذه المرحلة كاملة ..

قالت "سيان" مازحة :

– مم .. على كل حال ، هناك بعض الأحداث في حياتي التي أفضل الا أتذكرها نهائيا ...

قال "هيرمان" بهدوء :

– هذا إذا لم تكن تلك الذكريات محفورة في ذاكرة شخص آخر ربما يكون ذلك مزعجا إذن ...

فانفجرت "سيان" في الضحك وبدأت تسرد بعض ذكريات المرحلة التي كان "هيرمان" خلالها مجرد صحفي مبتدئ ، فأعجبت "هيلين" بهذا الحديث وإن كانت لم تعد تريد إلا العودة إلى المنزل لتبدأ في التذكر والتفكير ، ولكن "هيرمان" و"جريج" و"سيان" كانوا يريدون استكمال السهرة في هذا المكان ، وعندما ذهب "هيرمان" لدفع الحساب ، وذهبت "سيان" إلى دورة المياه ، استغلت الفتاة الفرصة لتقول لـ"جريج" إنها مرهقة ولكنه لم يتفهم الموقف وقال لها :

– ولكنني لم أطلب منه بعد أن يقوم بدور الوصيف في حفل زفافي .. كما أنني لم أجد الفرصة سانحة بعد أن هاجمته بشدة بسبب موضوع جواز السفر هذا!

اعذريني لحديثي هذا ياعزيزتي معه ، ولكنه يملك الموهبة دائما ليضغط على أعصابي .. كما أعدك بألا ننتظر طويلا لو كنت حقا مرهقة .

لم تتوان "سيان" عن دعوتهم لقضاء السهرة في ملهى ليلي ممتاز. والحق أن مهنتها كصحفية شابة قد منحتها فرصة الذهاب إلى أفضل المناطق في "أوكلاند" ، لذلك اختارت ملهى "روستيز" حيث يذهب علية القوم وأكثرهم تعقلا ، كما أن أسعار المشروبات هناك كانت باهظة جداً .

وما إن جلس الجميع حتى نهضت "سيان" طالبة من "هيرمان" مشاركتها في الرقص ، وبعد قليل تبعها "جريج" و"هيلين"

كان "جريج" راقصا ماهرا ، وكانت خطواته مع "هيلين" متناسقة جداً حتى هدأت الفتاة وسعدت لكونها مرتبطة بهذا الرجل الذي تتفق معه في أشياء كثيرة! ولكن ، هناك شيء واحد يشعرها بالضيق .. وهو أنها كانت تتمنى أن تكون حبيبة له وأن تكون منتمية إليه .. كما انتمت إلى شقيقه في ليلة ما ..

ولكنها سرعان ما استبعدت هذه الفكرة من رأسها ..
كما انه لايوجد أي شيء يثبت ذلك .وفجأة أعادها صوت "هيرمان" إلى الواقع.
- هل يمكنني اختطاف رفيقتك ؟
وبعد قليل ، كانت "هيلين" بين ذراعي "هيرمان" ، وعلى الرغم من تغير رفيق الرقصة ، إلا أنها سرعان ماشعرت بالانسجام مع خطواته مما جعلها تشعر بخيبة الأمل .
وما إن لف "هيرمان" ذراعه حول خصرها حتى ابتعدت عنه قليلا ، فلم يحاول أن يقربها منه ثانية ، وعندما نظرت في عينيه لم تر فيهما هذا التعبير بالانتصار ولكنها وجدت تعبيراً بالحزن مشوباً بحنان لا حد له .
وفجأة قال لها :
- هل هناك خطورة لعودة هذا المرض إليك ثانية ؟
لاداعي للهروب منه .. كما أن هذه الأسئلة من أهم مميزاته كصحفي ناجح.
فأجابته بصوت مملوء بالإحساس :
- أعتقد أنني شفيت تماما .
فأغمض عينيه ولاحظت الفتاة ارتعاش جفونه ذات الرموش الشقراء الكثيفة ، وعندما لاحظت ضعفه إلى هذا الحد ، ارتعدت وقالت هامسة :
- "هيرمان" !
- لقد أخبرني "جريج" انك فقدت والديك قبل سن السابعة عشرة ، فهل كان هناك من يتولى رعايتك أثناء هذه الفترة الصعبة من حياتك ؟ وهل جاءت شقيقتك لمد يد العون لك ؟
هزت "هيلين" رأسها قائلة :
- لم أطلب منها ذلك ، فقد كانت تعيش آنذاك مع زوجها في "ألمانيا" وكانت متعبة جداً في بداية حملها ، ولم يكن باستطاعتها مجرد مغادرة الفراش خوفا من فقدان الجنين .
- إذن أنت لم تخبريها بشيء .. وأخفيت عنها نبأ مرضك حتى ..

أخبريني حتى متى ؟
لم تستطع "هيلين" مقاومة إصراره أكثر من ذلك وسردت عليه كل شيء : الام رأسها التي أعادها الإخصائي إلى وجود فيروس في جسمها ، وسلسلة الفحوص الطويلة التي لم تؤكد أي شيء ، وظهور الورم أخيراً ومحاولة العلاج الكيميائي ومحاولة الإخصائي للحصول على دعم من الدولة لتغطية تكاليف علاجها ورحلتها إلى "انجلترا" ، ومحاولتها الاتصال بـ"جاك" لتطلب منه إخبار شقيقتها "سوزان" بمرضها بدون أن يزعجها كثيراً .
وكان "هيرمان" يستمع إليها كما لو كان يعيش نفس الامها وأحزانها من جديد لدرجة أنها بدأت تشعر بالفزع ثانية ، وأخيرا همس قائلا :
- كنت صغيرة ووحيدة ...
- ولكنني كنت محاطة بالأصدقاء يا"هيرمان" ، كما أنني لم أكن طفلة ! وهذه التجربة جعلتني قوية ، فالإحساس بدنو الموت جعلني أبدو متماسكة وجعلني أحدد ما أريده بالضبط من الحياة .. فبدأت أقيم الأشياء من جديد .. كالحب مثلا .
- ولكنك لم تجدي من يحبك ويساعدك في هذه الفترة حيث كنت بحاجة شديدة إلى المساعدة ، أليس كذلك ؟ كما أن العلاج الكيميائي قاس جداً
- الشعور بالغثيان والهزال فقط لاغير ، كما أنني لم أضطر للعلاج بالأشعة ولم أفقد شعري .. كل ما حدث أنه أصبح فقط ..
اختنقت الكلمات في حلق "هيلين" ، ولكن "هيرمان" قال :
- أصبح لونه أشقر .
فقالت بصوت خفيض :
- لقد نسيت ذلك تماما ، أو ربما أردت نسيانه .
- كنت متأكداً أن لونه لايلائم لون بشرتك .. كما أنني لم أتصور أنك تفضلين الظهور بشعر أشقر ..

اكتسى وجهها بحمرة الخجل ، فأخذ ينظر إليها مبتسما ، وفجأة قال لها:

- هل تنوين إخبار "جريج" ؟

- إخباره بماذا ؟

- بما حدث في "هونج كونج" ؟

- ولم ذلك ؟ فأنا أجهل ماحدث ولا أعرف إلا ما أخبرتني به ، لماذا فكرت في ذلك ؟

- يمكنك إخباره بالتفاصيل ، الا تريدين ذلك ؟ أنت لاتتذكرين شيئا الآن ، ولكن من يعرف .. فيما بعد ؟ فقد ذهبت في هذه الليلة إلى ...

قاطعته "هيلين" :

- "هيرمان" .. أنا اقدر معاونتك لي ، ولكن لاداعي لذلك ، إنها مجرد صدفة ، فقد تلقيت تربية صارمة ولم أكن أبداً من النوع الذي يفكر في قضاء ليلة مع شخص غريب .

- ولكنها ليست مغامرة ، كما أن ذلك لايعد خرقا لعاداتك او تقاليدي ، مجرد فتاة استغلت الفرصة لتصبح امراة ...

- ولكنها ليست أنا ! مستحيل ! فأنا ما أزال عذراء .

تعثر "هيرمان" في وقفته واعتذر ، ثم نظر إلى رفيقته بثبات في عينيها .

- "هيلين" ، تظنين أنك مازلت عذراء ، هذا مستحيل !

سكتت الفتاة وهي تهز رأسها غير مصدقة ، ثم قال ثانية بلطف :

- هذا يعني أنه لم يقترب منك اي رجل غيري .

تقلص وجه الفتاة في ذعر شديد .

- لا تتشبثي بهذه الفكرة يا "هيلين" حتى لاتصابي انت و"جريج" بخيبة أمل إذا تخيلت ...

- كفى يا "هيرمان" ! كيف تجرؤ ؟

- أجرؤ لأن ذلك ضروري ، يجب أن تواجهي الحقيقة ، لقد كنا حبيبين يا "هيلين" ، ولم يقتصر الأمر على مجرد ليلة عابرة ..

هل قرأت قصة "ملاك في الظلمات" ؟

انفرجت أسارير الفتاة بعض الشيء وأجابت :

- كلا ، لم أجد الوقت المناسب !

- حسن ، يجب أن تقرئيها ! فبطلة القصة هي أنت !

- ماذا ؟

جذبت صرخة "هيلين" الفزعة انتباه الراقصين من حولهم .

تابع "هيرمان" حديثه :

- إنها قصة لقائنا ، لقد نجحت في أن تجعليني أفهم ، خلال هذه الليلة ، كل معاني الحياة والحب والخلق ، إنني كتبت هذه القصة تكريما لامراة لم تسعفني الظروف لأن أشكرها بنفسي ...

حتى ذلك اليوم .

لم تصدق "هيلين" ماتسمعه ، وتمتمت :

- لماذا تتصرف معي بهذه الطريقة ؟ ماذا تريد مني في النهاية ؟

هكذا تتحدث دائما عن ماضٍ لم أكن أبداً مسؤولة عنه ، بل ولاأزال غريبة عنه !

أخيرا تماسكت الفتاة ولكن "هيرمان" كان ينظر إليها بابتسامة غريبة على شفتيه ، ثم قالت "هيلين" بحماس :

- أرجوك ، لاتحاول إتعاس "جريج" بهذا الحديث !

أنت تريد أن تجعله يدفع الثمن ، ولك ما تريد ، لكن لا تفعل ذلك من خلالي !

وحسب ما أعلم فهو لم يدمر حياتك تماما ...

فقد تزوجت من أخرى بعد رحيل خطيبتك ، أليس كذلك ؟

وأنت لاتتصور أبداً أن "جريج" أراد تعنيبك عن عمد ..

وربما لم تخلق أنت وخطيبتك لبعضكما ... ؟

رمى "هيرمان" رأسه إلى الوراء كأنها لكمته في وجهه وقال :

- أهذا ما أخبرك به ؟

- لم يكن يقصد اي شيء مما حدث ، أتعتقد أنه وقع في حب المرأة التي

اختارها شقيقه عن عمد ؟
أجاب "هيرمان" ببطء :
- كلا ! لا يمكن أن يفعل أحد ذلك عن عمد .
فوجئت الفتاة بتعبير وجهه وشعرت أنها فهمت مايريد "هيرمان" قوله ، وقرأت في عينيه تأكيداً هادئاً ، وكأن هذا الإحساس رغما عنه .. تصريح هادئ بالحرب .
قالت الفتاة بصوت مختنق :
- أنا أجهل اللعبة التي تنوي القيام بها ، ولكنها لن تتم بواسطتي .
وكان "هيرمان و"هيلين" في هذه اللحظة في الطرف الآخر من القاعة بعيداً عن "سيان" و"جريج" الجالسين على المائدة ، وفجأة جذبها "هيرمان" وراء أحد الأعمدة .. منذ متى وهما يرقصان معا ؟ إن "هيلين" لاتستطيع تحديد هذه المدة..
وربما كان أمد الدهر .
- "هيرمان" ...
ولكنه أسكتها بقبلة على شفتيها بينما تلتف يداه حول خصرها ، كان يقبلها بحرارة غريبة وعندما ابتعد عنها ، كانت وجنتاها مخضبتين باللون الأحمر وأنفاسها تكاد تكون متقطعة .
وفجأة لمعت عيناها ببريق الغضب على الرغم من نظرات "هيرمان" التي تشتعل برغبة عارمة ، وقالت :
- لماذا فعلت ذلك يا "هيرمان" ؟
- لكي أعيد الذاكرة إليك .. لكي أفتح الطريق أمام ذكرياتك ..
هل تذكرت أي شيء ؟
شعرت الفتاة بسخونة وبرودة في نفس الوقت .
- كلا ، لم أتذكر شيئا ولا أريد أن أتذكر شيئا ! وللمرة الثانية أرجوك دعني وشأني يا "هيرمان" ، دعنا وشأننا أنا و هو .
فأجابها بحدة جعلتها ترتبك :
- لا أستطيع يا "هيلين" ، لا أستطيع أن أتركك ترتكبين مثل هذا الخطأ .

انتهت بقية الأمسية كأنها كابوس ، وفي النهاية عندما حاولت "هيلين" ترتيب الأحداث في مخيلتها ، تذكرت أنها لدى عودتها إلى المائدة مع "هيرمان" ، كان "جريج" هادئا جداً ، وأخذ ينظر إليهما باستغراب شديد كأنه يشك في أمرهما.
وازدادت الأمور تعقيدا عندما عرض "جريج" على أخيه أن يقوم بدور الوصيف في حفل الزفاف ، وكأنه ألقى بقنبلة في وجهه ، وكأن "هيرمان" كان ينتظر هذا العرض لينفجر ، فقال له :
- لقد قمت قبل ذلك بدور ما في قصة زواج فاشلة يا "جريج" ، ولا أريد تكرار ذلك ثانية !
صمت "جريج" تماما ، وبعد ثلاث دقائق ، كان قد اصطحب "هيلين" وخرجا من الملهى .
وعندما عادت "هيلين" إلى المنزل ، جلست مع نفسها وشعرت بتوتر شديد ، كما أن "جريج" رفض أن يتحدث معها ثانية في هذا الشأن ، وظل -طوال الطريق- شاحب الوجه ، مقطب الجبين ، ولم ينطق بكلمة واحدة حتى وصلا إلى المنزل .
لقد تسببت له "هيلين" في الألم ، وتركته يعتقد أن "هيرمان" سيقبل عرضه ، ولكنها لن تتركه يتعذب هكذا بدون كلمة واحدة .
كما أن من حقه معرفة الحقيقة ، ولكن أي حقيقة ؟

الفصل الرابع

تنهدت "هيلين" وهي مقطبة الجبين بينما كانت تجلس أمام المائدة الخشبية الصغيرة وقد وضعت عليها قطعاً من الأقمشة المختلفة الألوان ، وكان مايشغلها هو صنع بلوفر من هذه الأقمشة ، ولكنها لم تنجح حتى هذا الوقت .

– يالها من ليلة سيئة !

ثم رفعت عينيها لترى الوجه البريء الجالس أمامها ، كانت "چيني" فتاة شقراء مرحة ، والحق أن "هيلين" كانت تعشق العمل معها .

– لنقل إنها كانت ليلة متعبة .

رفعت "چيني" حاجبيها وقالت :

– مع شخص من طراز "جريج" ، أظن أن الليلة الهادئة تصيب بخيبة أمل ، اليس كذلك ؟

كانت ابتسامة "چيني" تدل على حيوية وسعادة مما جعل "هيلين" تشعر أكثر بإرهاقها ، وعندئذ سمعت الفتاتان ضوضاء في الناحية الأخرى من المحل أي من وراء الستارة التي تفصل بين الـ"اتيليه" والمحل ، فنهضت "چيني" وقالت لها وهي تتجه بحماس نحو الطرف الآخر من المحل :

– ستحكين لي كل ماحدث بالتفصيل أثناء تناول وجبة الغداء .

كانت تقصد الأحداث التي جرت لها والتي جعلتها تظل طوال الليل ساهرة بلا نوم ، ارتعدت "هيلين" بمجرد تذكر ذلك .

لقد فكرت في حوالي منتصف الليل ان تتصل بشقيقتها في "هونج كونج" وفعلا اتصلت بها ولكنها عرفت أن "سوزان" تنوي الخروج مع زوجها لقضاء السهرة في الخارج بعد أن اطمأنت على اولادها .

وعلى الرغم من سعادة "سوزان" لسماع صوت شقيقتها إلا انها ارادت إنهاء الحديث بسرعة ، وكان ذلك واضحا ، ومع ذلك نجحت "هيلين" في الحصول على بعض المعلومات من شقيقتها بشأن ماضيها .. وعرفت منها أنها بقيت في فندق "هيلتون هونج كونج" لمدة يومين مع شقيقتها قبل

السفر إلى "انجلترا" لإجراء العملية ..

وكان "چاك" آنذاك في "طوكيو" يعمل في أحد فروع "هونج كونج" المؤقتة حتى تستطيع "سوزان" السفر معه عائدين إلى "الولايات المتحدة" .

وقالت لها "سوزان" :

– أتتذكرين عندما تكفلت الشركة بكل مصاريفك .. فقد كنت آنذاك في حالة سيئة جداً وكنت قلقة جداً بشأن الجنين وبشأنك ...

ثم وصلت أنت وفوجئت عندئذ بهدوئك وشجاعتك .. وكنت غاية في الضعف وكان شعرك ... ماحدث أنك أنت التي طمأنتني وليس العكس كما كان مفروضا .. ولكن لماذا تريدين معرفة كل ذلك ؟

أجابت "هيلين" :

– حسن .. لقد تعرفت على شخص ما يدعي أنه تقابل معي هناك في العيد ..

وأنا لا أتذكر ذلك .

– آه ! تريدين أن تقولي : إنك نسيت ذلك ! وأنا التي اعتقدت أنك تريدين تكتم أمر حماقتك هذه ...

– حماقتي ؟

– مم ... أي ! اعذريني كنت أحاول وضع دبوس في شعري بيد واحدة .. والآن.. نعم .. لم أكن أجرؤ على الابتعاد عن الفندق حيث كنت أعاني الغثيان ، كما كنت أخشى أن أسبب لك ضيقا ، وكان يبدو عليك أنك تريدين قضاء وقتك كيفما تتمنين ! لذلك أعددت لك بعض النزهات ، وفي اليوم التالي ذهبت لقضاء العيد في الخارج .. ولم تعودي قبل حلول الليل وكان الوقت عندئذ يسمح لك – بالكاد – باستقلال الطائرة في الصباح .

– "سوزان" ! لماذا لم تخبريني بذلك ؟

– لأنني كنت أعتقد أنك تعرفين كل ذلك ! ولكن ماقيمة كل هذا ؟

إنها قصة قديمة !

– ولكن ... ربما كنت قلقة ...

– لقد قلت لي يا عزيزتي في المطار قبل سفرك مباشرة : "إن العلاج

الكيمياني يجعلك عاجزة عن استيعاب بعض التصرفات بصفة مؤقتة " .. كانت هذه كلماتك بالحرف الواحد .

- آه !

- وإنه لادعي أن أقلق نفسي في هذه الأمور ، وفي "نتائجها الصغيرة" .

- أنا لا أصدق انني قلت كل ذلك .

- أرجوك لا تكوني غبية ! لقد كنت تضحكين وقلت لي : إنك قضيت أروع ليلة في حياتك ... وكنت سعيدة أثناء ذهابك ، فقد كنت في الرابعة والعشرين من عمرك ولكنك ناضجة جداً .. واعتقدت عندئذ انه من حقك أن تستغلي كل لحظة في حياتك قبل استقبال كل ما كان ينتظرك .. ولو كنت أعرف وقتها من فتى الأحلام هذا لأعطيته نيشانا ولتذهب توصيات أمي إلى الجحيم !

أخبريني يا "هيلين" ...

ثم أضافت بجدية :

- "هيلين" لاتخبري "جريج" بكل هذا ، فذلك خطأ كبير ، ونصيحة : لا تحاولي أن تعرفي أي شيء عنه أو عن ماضيه فلابد أن له بعض المغامرات كأي شاب آخر في مثل سنه ، والزواج ياعزيزتي رحلة طويلة يجب أن تبدئيها بصدر رحب!

وعلى كل حال بما أنك لاتتذكرين أي شيء مما مضى لادعي إذن لأن تعذبي نفسك بهذه القصة .

بعد انتهاء هذه المكالمة ، لم تستطع "هيلين" أن تهدأ أو أن تتخذ قرارا يحدد تصرفاتها المقبلة .. لو تستطيع تذكر ماحدث بينها وبين "هيرمان" فقط خلال هذا اللقاء القصير .. ربما تتمكن بعد ذلك من نسيانه ولكن فكرة عدم تذكرها وعدم معرفتها تزعجها أكثر وتسبب لها عذابا دائما ، لدرجة أنها أصبحت تشعر أنها إنسانة غريبة عن نفسها .

وفي وقت متأخر من الليل سمعت "هيلين" جرس الباب ، فسعدت لعودة صديقتها "جيني" مبكرة من عملها ، لابد أنها نسيت مفاتيح الشقة ، ولكنها عندما فتحت الباب ، وجدت امامها "هيرمان" وفي يده نسخة من

قصة "ملاك في الظلمات" ، ثم قال لها بسرعة شديدة قبل أن يرحل حتى لايترك لها الفرصة لأن تعبر عن ضيقها لهذه الزيارة المتأخرة :

- اقرئيها يا "هيلين" فقد تفهمينني جيداً !

بدأت "هيلين" تجمع قطع القماش المتناثرة وتشبكها في بعضها بواسطة إبرة الحياكة ، وكان ذلك عبارة عن بلوفر من الصوف الطبيعي تنفذه من أجل عميل ما حسب طلبه ، وعندئذ غرقت في أفكارها .

وعندما فتحت القصة بعد ذلك بطريقة تلقائية ، وقعت عيناها على الإهداء : "إلى ملاكي الحارس .. في انتظار لقائنا" .

ثم بدأت قراءة القصة بينما كانت تعد القهوة ، وتأثرت كثيراً بكل كلمة لدرجة أنها بكت كثيراً .. فقد كانت البطلة تشبهها إلى حَد كبير وكأنت كأنها توستها في أدق التفاصيل حتى في أثر الحرق القديم الموجود في باطن قدمها اليسرى.

انتهت "هيلين" من قراءة القصة وهي تتناول فطورها ، والغريب انها لم تشعر بالإرهاق على الرغم من هذه الليلة التي قضتها دون نوم ، ولكنها كانت تشعر ببعض الارتباك فقط .

وعندئذ ظهرت "جيني" أمامها وهي تقول :

- هناك عميل معجب جداً بأعمالك .. رجل كندي على ما أعتقد وفقا للهجته ، هل تقابلينه أم أتولى أنا ذلك ؟ إنه حقا شاب وسيم جداً .

فانفجرت "هيلين" في الضحك قائلة :

- تولي أنت ذلك ، فأنا مخطوبة .

خطيبها .. نعم ، لابد من أن تتحدث إليه ، كانت عندما وصلت إلى المحل في الصباح ، اتصلت بـ"جريج" وطلبت منه الحضور لتناول العشاء معها في نفس اليوم ، ووافق "جريج" على الدعوة بعد أن تردد قليلا ولكنه تحدث إليها بصوت جاد وحزين .. من يعرف ربما يكون قد توصل إلى بعض النتائج عقب لقائهما مع "هيرمان" في الملهى الليلي ؟

- "هيلين" ؟

ظهر رأس "جيني" من بين طيات الستارة وقالت :

– إنه يوم حظك ، فهو يصر على مقابلة المصممة ، هيا أسرعي !
وضعت "هيلين" أدوات الحياكة وقامت لتدلف إلى المحل في ابتسامة مهذبة، وعندئذ قال "هيرمان" :
– صباح الخير يا "هيلين" ، لم أكن أعرف أنك تملكين هذه الموهبة ..
إنها فعلا لوحات حقيقية للفن الحديث .. ألم تفكري أبداً في إقامة معرض؟
– "هيرمان" !
كان صوت "هيلين" يعبر عن اليأس أكثر من تقبل الأمر الواقع .
فقالت "چيني" بأسف :
– آه .. أنت تعرفينه ؟
– إن "هيرمان" هو شقيق زوجي المقبل ...
– إذن أنت "هيرمان نايت" ؟ الكاتب القصصي ؟ لقد قرأت كل قصصك وأعجبت بها .. هل يمكنك أن تهديني واحدة ؟
– بالتأكيد ، ويمكنك طلب ذلك من "هيلين" ، فسنتقابل كثيراً خلال الأسابيع المقبلة ...
قالت "هيلين" :
– يقصد خلال السنوات المقبلة .. كما أنك تعرف أننا نرحب بك دائما لزيارتنا...
– آه .. ولكنني أشك في ذلك ..
شعرت "هيلين" أن صديقتها تتحرق شوقا لمعرفة المزيد ..
إذن فلتغير مجرى الحديث بسرعة ..
وأسرعت بقولها :
– ما الذي أتى بك إلى هنا يا "هيرمان" ؟
– حسن .. لقد جئت لأتحدث معك بشأن البلوفر الذي وعدتني بتصميمه .. ويمكننا التحدث عن هذا بالتأكيد أثناء تناول وجبة الغداء معا .
– معذرة ، لقد أحضرت معي طعاما خفيفا لأتناوله هنا ، فكما قلت لك

لديّ أعمال كثيرة في هذه الفترة .
– ولكن يجب أن تتناولي طعامك أيضا .. وليكن ذلك في نزهة في الحديقة الموجودة على الجانب الآخر من الشارع .. لو كان ذلك لايضايق "چيني" أن تتولى مسؤولية المحل وحدها خلال هذه المدة بالتأكيد ...
أسرعت "چيني" بالإجابة :
– كلا بالتأكيد ! كما أنه لايوجد عملاء كثيرون اليوم .. وسأتناول غدائي فيما بعد ، هيا اذهبا معا !
قال "هيرمان" ساخراً وهو ينظر إلى "هيلين" :
– سيقينا الشرف من كل شيء !
حاولت "هيلين" عبثا البحث عن أي حجة تمنعها من الذهاب معه ،
ولكن رفضها سيزيد من فضول "چيني" بالتأكيد ..
وكان "هيرمان" يستغل هذا الوقت ليراقب الفتاة بعناية ، ولاحظ ثوبها المصنوع من القطن وكان عاديا جداً وبدون اكمام ولكنه ذو لون أصفر صارخ يلائمها كثيراً ويبرز لون بشرتها الأسمر .
وبعد دقائق قليلة ، كان الاثنان في طريقهما إلى الحديقة بينما كانت "هيلين" تشغل نفسها بمشاهدة التصميمات الموجودة في المحلات المجاورة، وكان هناك الملابس الباهظة الثمن المصممة على الموضة ، والملابس الرخيصة الشعبية .
كان شارع "فيكتوريا بارك" من الشوارع المميزة بوجود مبانٍ قديمة مع وجود محلات كثيرة ومتعددة ، بجانب الباعة الجوالين الذين يملئون المكان ببضاعتهم.
وأكثر ما كان يشد الانتباه في هذا الشارع محلات الأطعمة المختلفة ، فكان هناك المنتجات المكسيكية والصينية والإيطالية ، وعندئذ بدأت معدة "هيلين" تعترض على الطعام الخفيف الذي أحضرته معها والمكون من الزبادي والتفاح.
وفي النهاية ، دخل "هيرمان" محلاً لبيع الخبز ، فاشترى خبزا فرنسيا ،

ثم محلا آخر لبيع الجبن والفطائر وأثناء اهتمامه بدفع الحساب ، طلب من "هيلين" الذهاب لشراء سكين .

وعندما وصلا إلى الحديقة ، وضع "هيرمان" حقيبة الطعام وكان يحمل في إحدى يديه مفرشاً من الكتان الأصفر ، فنظرت إليه "هيلين" باستغراب ، فقال لها :

– لقد سقطت الأمطار صباح أمس ، ومن المحتمل أن يكون العشب مبللا في هذه المنطقة .

– ولكنها مصاريف كثيرة لنزهة صغيرة ، اليس كذلك ؟

وبدون أن تنتظر الإجابة ، دخلت "هيلين" إلى الحديقة وتبعها "هيرمان" ، والحق أن المفرش كان مهما جداً ، فقد كان الجو حاراً جداً والشمس ساطعة لذلك لابد لهما من الجلوس في منطقة بعيدة عن الشمس وكانت بالتاكيد مبللة ، وعندما أخرج "هيرمان" الطعام من الحقيبة ، دهشت "هيلين" كثيراً ولاحظت انه أحضر كل شيء فقد أحضر دجاجاً محمراً وزيتوناً أخضر محشوا بالفلفل الأحمر وبعض عناقيد العنب الطازجة ، فقالت عاتبة :

– كأنك احضرت طعاماً لكتيبة كاملة .

– انا جوعان ، ولا أعرف هل لاحظت ذلك أم لا ... فأنا لم آكل جيدا مساء أمس .

– وهل تنوي تناول كل ذلك ؟

وكانت تنظر إلى الخبز الرائع الذي يقطعه بيده بعين نهمة ، فقال لها :

– أتجربين معي ؟ أرى ذلك في عينيك .

ثم ناولها السكين ، فلم تتوان عن الموافقة بدون أن تندم على الزيادي والتفاح اللذين احضرتهما معها .

ودهشت كثيراً عندما شعرت بالسعادة أثناء تناول الطعام في وجود "هيرمان" الذي بدا لها فجأة قريبا منها ولطيفا جداً .

وبينما كانت تنظف يديها بعد الانتهاء من تناول قطعة الدجاج قال لها :

– يبدو أنك مرهقة ، ربما لم تتمكني من النوم جيداً بعد زيارتي المتأخرة لك؟

– لقد قرأت قصتك .

– طوال الليل ؟

– طوال الليل .

– أنت تتملقينني !

– انتظر أولاً حتى تعرف رأيي .

– انا متأكد أنها أعجبتك .

ثم ناولها كوباً من العصير .

– ولكنني لم أعجب بالنهاية ، لقد انتهت القصة بطريقة ... غامضة جداً .

– ذلك لأنه لم ينجح في معرفة ما إذا كان هذا الملاك حقيقة أم خيالاً ؟ أهذا ماتقصدين ؟

– كن أكثر جدية ! إن كل هذا كان من صنع خيال البطل .

– أتعتقدين ذلك ؟

قال لها "هيرمان" هذه الجملة الأخيرة بابتسامة متعجرفة ، مما جعلها تدخل في مناقشة حول القصة والسؤال الذي تطرحه وهو : هل الأمل والخيال أفضل من الاستسلام للمصير ؟

نسيت "هيلين" تماما أنها تتحدث مع المؤلف وبدأت تدافع عن وجهة نظرها بشدة كما لو كانت تعرف طبيعة الشخصيات أكثر منه .

وفجأة قال لها "هيرمان" :

– أنت تتحدثين بجدية واهتمام شديدين يا "هيلين" .

كان "هيرمان" مستلقيا عل ظهره ، فاتحا أزرار قميصه كأنه يريد الاستفادة من أشعة الشمس ، وكان يبدو من خلال فتحة القميص صدره البرونزي المغطى بشعر أشقر ، وعندئذ جلست "هيلين" بجانبه وقالت :

– هذا ما كنت تريده ، اليس كذلك ؟

– وهل تعرفت على نفسك ؟

– من الناحية المادية ، نعم ، ولكن البقية كانت من صنع الخيال ، أعتقد أن هذا البطل المعذب ماهو في الحقيقة إلا أنت ؟

– لقد طُرح هذا السؤال عليّ كثيراً ،لكنني لم اجب عنه ، أما انت فيمكنني الاعتراف لك بالحقيقة .. إن كل كتبي تحمل عناصر من حياتي الذاتية ولكن هذا الكتاب حافل بهذه العناصر اكثر من اي كتاب اخر ، وكما تعرفين لقد كتبته بناء على حادثة حقيقية ، وكل ما كانت تشعر به الشخصيات الحقيقية ذكرته في الكتاب ، أما البقية فقد تكفل بها الخيال ، لقد كان هذا الكتاب أسلوبا جديدا تماما في حياتي ، لذلك خشيت من فشله ولجأت إلى .. الاسم المستعار ، الحق ، انني وضعت عصارة روحي وآمالي في هذا الكتاب يا"هيلين" .. لقد تعبت كثيراً في مواجهة هذه المهمة القاسية لدرجة أنني فضلت وجودي في خضم أحداث المعارك والقنابل تقذف من حولي ! صدقيني يا"هيلين" عندما يفتش المرء بداخل نفسه يجد وحوشا ضارية ...

ولو كانت النهاية في نظرك غامضة ، ذلك لأن الحياة نفسها غامضة .. ولن يتوصل الإنسان أبداً لفك رموز هذا الغموض ومعرفة نفسه على حقيقتها .

قالت "هيلين" ساخرة :

– عل الأقل في حالتك كان ذلك مفيداً .. فقد جعلك هذا الكتاب ثرياً وشهيراً !

– هل هذه مطالبة مستترة لنصف حقوق المؤلف باعتبارك الوحي الحقيقي للقصة ؟ خذي هذا العنب ، إنه رائع !

كان يتحدث إليها بابتسامة عذبة ، فأخذت منه "هيلين" عنقود العنب لتلتهمه في هدوء .

– الم تشعري أنك رأيت من قبل بعض فصول هذا الكتاب ؟

– كلا .

– حتى في الفصل الخامس ؟

– كلا بالتأكيد !

شعرت فجأة بالدم يتدفق إلى وجهها ، فأخذت تنظف المكان بسرعة .

قال "هيرمان" :

– إنه الفصل الوحيد الذي لم يتدخل فيه الخيال .. ولم الجأ في كتابته إلا إلى الذكريات .. التي ظلت محفورة في عقلي .

حاولت "هيلين" تجنب نظراته وأخذت تضع بقية الطعام في الحقيبة .. فقد كانت أحداث الفصل الخامس تجري في إحدى حجرات فندق "هونج كونج" ، وكانت مملوءة بالمشاهد الجنسية التي لم تقرأ مثلها ابداً .

وفجأة بدأت نحلة تطن حولهما وكانت "هيلين" غارقة في افكارها ، ثم حطت النحلة على صدر "هيرمان" بينما كانت الفتاة تتابعها بنظراتها ، وعند مانهض "هيرمان" ليبعد النحلة قفزت الفتاة من مكانها .

– يبدو أنك تهتمين بملاحظة الحشرات .. لنتحدث ثانية عن الكتاب ...

– أفضل أن نكف عن هذا الحديث .

– تقصدين الفصل الخامس ؟ هل فوجئت بمقدرتي على كتابة تفاصيل هذه التجربة الخاصة في الكتاب ؟ ولكنني لم أكن أستطيع أن أفعل غير ذلك حتى لا أخون حقيقة ماكنت أشعر به ! لقد غيرتني هذه التجربة تماما وشعرت بها في داخلي .. عندما اكتشفت الحب ، وكم كنت سعيدا بهذا الاكتشاف لدرجة أنني تمنيت أن يشاركني العالم كله فيه !

نظرت إليه "هيلين" وكأنها تنظر إلى إنسان فاقد للأمل تماما ، وعندئذ فهمت السبب لرفضه هذا الوضع الحالي ، فالعلاقة القائمة بينه وبين أخيه لاتفسر كل شيء ، لقد صدق بالفعل في كل كلمة كتبها في صفحات الكتاب ، وخلع على "هيلين" صورة "الملاك" الخاص به .. المرأة المثالية التي صنعها من نسج خياله وأضفى عليها كل فضائل المرأة .

فوجئ "هيرمان" بتعبير وجه الفتاة ، فانفجر ضاحكا وقال :

– أتعتقدين أنني مجنون ؟ ضعي نفسك مكاني فقط !

لقد ظللت محبا لامرأة لم تعد أبداً لي لمدة خمسة أعوام ..

وبعد كل هذه المدة وجدتها تعطي نفسها للشخص الذي لن يستطيع أبداً

منحها الحب الكافي ! لو كان هو شخصا اخر يا "هيلين" .. شخصاً قادراً على منحك الحب الذي تحتاجين إليه ، لكنت تركتك وشأنك .

- أشك في ذلك ، فأنا اثق في "جريج" ، وهو مثله كمثل اي شاب كان صغيرا في السن ومن حقه ان يرتكب اي خطأ ..

- إن كلمة "خطأ" لا تلائم ما ارتكبه "جريج" .. فالخطأ نرتكبه دون قصد ، ولكن "جريج" كان يعرف ما هو مقدم عليه بالضبط ويعرف انه خطأ رهيب، ولكنه لايهتم كثيراً بما فعله في الماضي لذلك كذب عليك .

- كذب عليّ ؟ ما الذي تريد قوله ؟

- أريد ان اقول لك يا "هيلين" إن "جريج" لم يقع في حب خطيبتي ولكن زوجتي.. ولم يكتف بحبه لها فقط ، بل اقام معها علاقة دامت طويلا .

الفصل الخامس

- علاقة .. مع "اليس" ...

كان صوت "هيلين" مسموعاً بصعوبة ، وفجأة أصبح الجو ثقيلا جداً حولها .

ردد "هيرمان" :

- مع "اليس"

- أنا ...

لم تجد ماتقوله .. "اليس" .. لقد فهمت الآن السبب في انه مامن مرة يذكر اسمها إلا ويتعكر الجو ، والسبب في عدم ذكر "هانا"، و"نيكولا" لاسم "جريج" امام "هيرمان" ، والسبب في أن "جريج" يبدو دائما منزعجا ومقتنعا ان "هيرمان" لن يسامحه ابداً .

أخرجها صوت "هيرمان" من افكارها :

- والآن ، الا تحاولين الدفاع عن خطيبك ؟

جلس "هيرمان" وأحاط ساقيه بإحدى ذراعيه ، وأخذ ينظف بقايا الطعام الموجودة على سرواله بالذراع الأخرى وأضاف :

- كنت حتى مساء امس ، أعتقد أنك تعرفين ذلك ، لقد افترضت أن هناك صراحة متناهية بينك وبين خطيبك !

تمتمت "هيلين" بوهن :

- نعم .. نعم .. لو كنت طلبت منه ذلك ، لكان أخبرني بكل شيء .

- بالتأكيد ، وكان سيستغل ذلك ليتخلص من إحساسه بالذنب ، ولكن هل تصدقينه بعد أن عرفت انه كذب عليك فيما مضى ؟

- لابد أن قصتك تتسم بالموضوعية وعدم التحيز .

- نعم ، ذلك لأني نسيت الماضي ، أما هو فلا ، وبذلك لا يبحث عن مسامحتي له بل عن مسامحته لنفسه .. وكم دهشت عندما سمعت بقرار

www.elromancia.com

زواجه ، فقد كنت أعتقد أنه سيحرم على نفسه السعادة طوال عمره .

– لم يتوان "جريج" أبداً عن اتخاذ القرارات الحازمة !

– في مجال الأعمال ، نعم ، أو على الأقل عندما يعطيه أحد ما الدفعة الأولى .

صمتت "هيلين" وأدارت رأسها ، لقد كانت هي وليس "جريج" التي اتخذت الخطوة الأولى في بداية علاقتهما .

– هل تريدين معرفة كل القصة يا "هيلين" ؟

جاهدت لتقول وهي تحول دون الفضول الذي يكاد يلتهمها :

– على "جريج" أن يحكي لي القصة بنفسه .

– قد يحاول البعض حماية الآخرين من حقيقة قاسية وجارحة بأي ثمن ، ولكن الحق أن هذه الحماية تكون أكثر قسوة من الحقيقة نفسها ، أليس كذلك يا "هيلين" ؟

سألته الفتاة بصوت مرتعش :

– وهل هذا ما حدث لك ؟

لماذا نطقت بهذه الكلمات ؟ لقد وافقت على سماعه ، على سماع مايعتبره حقيقة.

بدأ "هيرمان" يتحدث بأسلوب يجذب الانتباه ، فعاد بذاكرته عدة أعوام إلى الوراء ، وكان يجذبها إليه شيئا فشيئا بطريقة أخطر من محاولته استمالتها .

– عندما تزوجت "اليس" ، كنا صغيرين في السن ونفيض بالأمل والتفاؤل ... فبدانا معا في نفس الجريدة وكان بيننا أشياء كثيرة مشتركة .. نفس الذوق ، نفس الطموح ، ثم تفرق طريقانا ، ولم تكن "اليس" قادرة على القيام بالريبورتاجات الضخمة ومع الوقت تحولت إلى العمل في الأخبار المثيرة بينما أصررت انا على متابعة هذا الطريق الوعر لإعداد الريبورتاجات ، وفي هذه الفترة عُرض عليّ القيام ببعض المهمات الشيقة في الخارج مما جعل شهرتي تخترق الآفاق ، وعندئذ كنت أتخيل أن

زواجنا ناجح جداً .. حيث كانت "اليس" تبدو سعيدة بإقامتها في "أوكلاند" ، وفي كل مرة كنت أعود ، كانت ترحب بي جداً ، ولم تتبرم ابداً من كثرة غيابي ، والحق انني كنت سعيدا بذلك ...

– وكيف اكتشفت الحقيقة ؟ ربما شعرت ببعض الشكوك تجاه "جريج" .. وزوجتك ؟

– للأسف ، لم أحظ بذلك ، وكنت أعرف أن "جريج" يهتم بأمور "اليس" في غيابي ، وفي أحد الأيام عدت على حين غرة إثر تغير ما في مواعيد رحلات الطيران ، وعندئذ فهمت الحقيقة ... إذ وجدتهما معا في الفراش .. في فراشي.

– آه . "هيرمان" ..

– الحق كان ذلك رهيبا ، وعندما قررت أخيرا أن أفكر في الموضوع ثانية بعد هذه الأعوام الطوال التي قضيتها هائما على وجهي حتى انسى .. بدأت اسأل نفسي ماذا لو .. باختصار ربما أرادا إخباري بالحقيقة بهذه الطريقة ، ربما فكرا في إرغامي على التصرف بدون أن يتخذا الخطوة الأولى .. فقد كانا يحبان بعضهما منذ عدة أشهر ، ولكنهما لم يستطيعا البوح لي بذلك وحاولا كثيراً قطع علاقتهما ولكنهما فشلا .

– ثم بعد ؟

– عادت "اليس" إلى عائلتها في "سيدني" ولم يحاول "جريج" أن يمنعها من الرحيل .. ولو مجرد محاولة ..

– وانت الم تحاول منعها ؟ أعتقد انك كنت لاتزال تحبها ..

– لقد أحببت المرأة التي تزوجتها ، ولكن "اليس" لم تكن هذه المرأة ، وقبل أن ترحل ، قالت لي : إنها تمقت كل ما افعله ، وإنها تشعر بأن لاقيمة لها في حياتي وإنني جعلتها تصاب بخيبة أمل تماما مثلما فعلت معها الصحافة ...

– ومع ذلك ، إنها لاتزال تعمل في الصحافة ..

ابتسم "هيرمان" بضعف وشعرت "هيلين" بالخجل من فضولها .

- هذه قصة أخرى ياعزيزتي "هيلين" ... إن الخيانة لاتقل فظاعة عن محاولة الكذب لإخفائها ، و"اليس" عاشت في كذبة كبيرة لمدة شهور طويلة لأنها لم تكن تملك الشجاعة للاعتراف بخطئها عندما تزوجتني ، وسمحت لنفسها أن تتصرف بهذه الطريقة ، فوافقت على مبادلة "جريج" الحب ولو بصفة مؤقتة ، ولو كانا يريدان تحمل المسؤولية لواجهاني بالحقيقة بدلا من إخفائها ، وربما ، في هذه الحالة ، لم تكن النهاية لتصل إلى هذه المرحلة المأساوية ، حتى والداي كانا يعرفان الحقيقة ويخفيانها عني ، لقد اقسمت الا آخذ بالمظاهر بعد ذلك ، فكانت "اليس" تبدو محبة جداً لي ، وكلما اتخيل انها كانت تمارس الحب معي بينما كانت تفكر في شقيقي !

- "هيرمان" ، انا ...

وضعت "هيلين" يدها عليه في عطف ، ولكنها سرعان ماسحبتها بينما انفجر "هيرمان" في الضحك قائلا :

- انا لست في حاجة إلى شفقة احد يا"هيلين" ، حتى انت ، انا لا ابالي بهذه القصة مطلقا ، لقد خدعتني "اليس" وخدعت "جريج" وخدعت نفسها، كما انني كنت اقل منهما معاناة ، فنسيت كل ذلك واطلقت العنان لطموحي ، وبذلك اصبحت بسرعة شديدة ثرياً وشهيراً ، ولكنني تركت الفراغ يضع بصمته في حياتي ونسيت نفسي في خضم آمالي وحماسي لدرجة انني خشيت أن افقد إحساساتي حتى أصل إلى مرحلة العجز عن الكتابة ، وكنت الجأ انذاك إلى الكحوليات لكي أسترد حيوتي ، وفجأة بينما كنت اظن أنني فقدت كل شيء ، وجدت من جديد سعادتي وبراءتي ...

شعرت "هيلين" بالدوار نتيجة لجلوسها في الشمس كل هذا الوقت .. من المؤكد أن ذلك بسبب حرارة الشمس ، وربما كان بسبب نظراته الثاقبة التي تتسلل إلى قلبها وإلى أسرارها التي تجهلها بنفسها ...

- لقد منحتني الحياة من جديد يا"هيلين" في هذه الليلة ، وشعرت أنني مازلت انبض بالأحاسيس .. فهل ترين حبي لك غريبا بعد كل هذا ؟

ثم لمس رأسها بخفة ورقة .

- إن شعرك يكاد يحترق .. أنت أيضا تشعرين بشيء ما ، أليس كذلك يا"هيلين" ؟ شيء ما يربطك بي .

- نعم ...

هزت الفتاة رأسها لتبعد يد"هيرمان" عنها ولكن هيهات بينما اغرورقت عيناها بالدموع .

- كلا ، كلا ، لا تبكي ياحبيبتي .

ثم أبعد يده عنها ولاحظت "هيلين" أنها تتمنى لو يبدو لها اكثر حنانا .. أو حتى يجذبها بين ذراعيه ، أن ينتصر على الخوف الذي يسيطر عليها .. ، شعور غريب بالرغبة يملأ تفكيرها ..

قفزت "هيلين" ونهضت من مكانها وهي ترتعش وتشعر بالخجل ، فسألها "هيرمان" وهو ينهض بدوره :

- ماذا بك ؟

- انا .. لاتلمسني ! إن ذلك يضايقني .

أشرق وجه "هيرمان" بابتسامة أضاعت تعبير القلق الذي كان يرتسم على وجهه.

- وربما العكس ! ولكن ماذا حدث ؟ هل تذكرت أي شيء فجأة ؟

- أنت إنسان جذاب يا"هيرمان" بكل تأكيد ، ولكن هل تعرف ما اكثر شيء يجذبني فيك ؟ أنك تشبه الشخص الوحيد الذي أحبه ، ربما كانت لي معك مغامرة في الماضي ...

ولكن مستقبلي مع "جريج" .

غادرت "هيلين" المكان بسرعة وتركته وحيداً ، ثم ندمت على قسوتها هذه وفكرت في العودة إليه لتقديم اعتذارها ولكنها عجزت عن ذلك ، ومرت لها فترة مابعد الظهيرة طويلة جداً ..

فكيف ستقابل "جريج" ؟ وكيف تتحدث إليه ؟ وهل تبدأ حديثها معه باعترافها هي أم باعتراف "جريج" نفسه ؟

حان الوقت المنتظر ولاداعي إذن لطرح هذه الأسئلة على نفسها .
وعندما وصل "جريج" لديها ، رأى على الفور بعد أن قبلها قصة "ملاك في الظلمات" موضوعة على المنضدة ، فقال لها دهشا وهو يتقدم ليمسك بالقصة:
- لقد قلت لي إنك لم تقرئي قصة "هيرمان" ؟
شعرت "هيلين" أن الأرض تميد تحت قدميها ، فلو قرأ الإهداء قبل أن تشرح له الأمر بنفسها ...
- إنها الحقيقة ، لقد أحضر لي "هيرمان" هذه القصة مساء أمس و ...
- مساء أمس ؟
تجمد "جريج" في مكانه بينما لمعت عيناه بالشك والريبة .
- لقد حضر إلي .. بعد عودتي بقليل .. وطلب مني أن أقرأ هذه القصة ، لأن.. لأنه لابد ...
لم يتركها "جريج" تواصل حديثها .
- لقد أخبرك بكل شيء ، أليس كذلك ؟ كنت أعرف أنه لن يقاوم .. لقد أخبرك بأمر "اليس" ؟
- بما أنك كنت تظن أنه سيخبرني بكل شيء ، لماذا إذن لم تأخذ أنت الخطوة الأولى ؟ على الأقل كنت أخذت استعدادي لذلك .
- كنت أنوي ذلك .. ولو أنني كنت في حيرة : كيف أخبرك بهذا ؟
فكرت "هيلين" حزينة ، للمرة الثانية يبدو عاجزا عن عمل أي شيء ، ولكنها فهمت أنه ليس مطالبا بتوضيح الأمر لها .. ألم تخف عنه هي أيضا ماحدث بينها وبين "هيرمان" ؟
ثم استدارت نحوه خاضعة ، وعندئذ قال لها :
- كنت أعرف أنني لابد أن أخبرك بكل شيء عاجلا أم آجلا ، ولكنني اعتقدت أن الانتظار أفضل ، وفضلت أولا الحديث مع "هيرمان" ، فلا أحد يعرف بهذه القصة وبسبب انفصال "هيرمان" عن زوجته عدا والدينا ... كان اتفاقاً صامتا بيننا ، وربما كان "هيرمان" ينزعج بخرق هذا الاتفاق ...
اعترضت "هيلين" :

- لم أكن أنوي الصياح بهذا الاعتراف .
- لم أرد قول هذا ، ولكن ... الحقيقة ، خشيت أن يؤثر ذلك على علاقتنا ، كما أن "هيرمان" كان يبدو وكأنه لا يعلق أية أهمية على هذا الموضوع لذلك فضلت الانتظار .. ولا أعرف ما السبب في انفجار غضبه فجأة مساء أمس .. إن كل ما كان يعنيه في الأمر هو : الكذب .
شعرت "هيلين" أن وقت الاعتراف قد حان ، وفتحت فمها لتتحدث ولكنه بادرها بقوله :
- ربما تحتقرينني .. تحتقرين الإنسان الذي ينتظر عقابه ، والذي يبدو قويا في الخارج وضعيفا في الداخل .
فجأة ، شعرت "هيلين" بالشفقة نحوه ، ياله من شخص مسكين "جريج" .. إنه لن يسامح نفسه ! فهل تفعل هي ذلك بدلا منه ؟
- أعتقد أن الأمر كان رهيبا بالنسبة لكم جميعا ، وحقا أنا حزينة لذلك يا "جريج" ...
- أنت لاتريدين الزواج مني يا "هيلين" ؟
- كلا بالتأكيد يا "جريج" ، فأنا لست حزينة على ذلك .
ثم تقدمت نحوه وأحاطت كتفيه بذراعيها .
- أنا حزينة على الألم الذي شعرت به .. كما أنني لن أفكر أبداً في إلغاء فكرة زواجنا لشيء ما حدث في الماضي عندما كنت أنا نفسي صغيرة !
فجذبها نحوه بشدة وقال لها :
- أشكرك ياعزيزتي ، أعتقد أن "هيرمان" جعلني أبدو سيئا جداً ...
- لقد قال لي في الحقيقة إنه لايبالي بهذه القصة مطلقا .
ثم أخبرته بكل ما قاله لها "هيرمان" ، وبعد أن انتهت من حديثها شعر "جريج" بالهدوء وبدا مذهولا جداً .
- أتعرفين أن "اليس" وحدها هي التي تحتاج إلى الشفقة والرحمة ، لقد كانت تتمنى أن تترك عملها لتتفرغ لبناء أسرتها ولكن "هيرمان" لم يكن يريد الاستماع إليها ، وكان سعيدا بتجواله في جميع أنحاء العالم ، وبينما كان يتنقل بين القطبين ، كانت "اليس" مريضة بالقلق ، ولم أكن في

البداية سوى مجرد صديق بالنسبة لها ، شخص تعتمد عليه ، ثم تطورت علاقتنا بدون أن ندري ، وفي يوم ما فقدنا عقلنا ...

– ولماذا لم تطلب الانفصال عنه مادامت الأمور قد تأزمت بينهما ؟

– لقد كانت "اليس" لاتزال تحبه ولكن ليس كزوج بالتأكيد ، وفي البداية شعرت أنها ممزقة وكانت تتمنى أن تصل معه إلى حل لمشكلاتهما ، وبينما كان في الخارج ، كانت قد قررت أن تنهي حياتها معه وأن تضع حداً لهذه المأساة ، ولكن بمجرد عودته ، غرقت في الحزن من جديد وتمنت لو أمكنها إنقاذ أي شيء في علاقتهما .

شعرت "هيلين" أن "اليس" كانت مذنبة ومسؤولة عن كل هذا ، وربما لو كانت تصرفت بشجاعة ، لاستطاع "جريج" أن يتخلص من تردده .

ثم قال لها :

– أحمد الله أنك لست من هذا الطراز ، والحق انني كنت افتقد النضج في هذه الفترة حتى أزج بنفسي في قصة كهذه ، ولا أعرف ما الذي يمكنني عمله لو فقدتك يا"هيلين" ؟

لقد ملأت عليّ حياتي وجعلتني أفهم ما كنت حقا في حاجة إليه ... الحب، المنزل ، الأطفال ، وعندما عاد "هيرمان" شعرت أن كل الشياطين القديمة قد ظهرت في حياتي من جديد ، ولكنه لن يفرق بيننا ، وسنمنعه من ذلك ، اليس كذلك ياعزيزتي ؟

– بلى بالتأكيد !

شعرت "هيلين" بالضيق لرؤيته ضعيفا بهذه الصورة ، ولكنها لن تعيب عليه إحساسه المرهف ، وعليها هي أيضا أن تريح ضميرها ولكنها ، على الرغم من حزنها لتأجيل اعترافها إلا أنها لاتستطيع مفاجأة "جريج" بضربة ثانية الآن .

إن "هيرمان نايت" شبح لابد لها من التخلص منه نهائيا ، ولكن ذلك سيتم في وقته وعلى طريقتها .

و"هيلين" ليست الملاك الذي يبحث عنه ويجب على "هيرمان" فهم ذلك أراد أو لم يرد .

الفصل السادس

قالت ابنة عم "جريج" :

– صدقيني ، أنا لا أتقبل أبداً فكرة طلبه منك لأن تتركي عملك لكي تتفرغي للبيت وتربية الأطفال ، كنت أعتقد أن "جريج" يفكر بطريقة أكثر مدنية !

بدأت "هيلين" تندم لأنها طلبت من "چوزفين" رأيها في دور المرأة في الحياة الزوجية ، فقد أخذت هذه الفتاة – التي لاتزال طالبة في كلية الحقوق – على عاتقها مهمة الدفاع عن حقوق المرأة المكتسبة ، وظلت طوال ربع الساعة تقريبا تلقي خطبة عن حقوق المرأة الحديثة وواجباتها .

ولم تكن هذه أول وآخر دعوة تتلقاها " هيلين" ! فقد حضرت عائلة "نايت" جميعها الحفل المقام على شرف عودة "هيرمان" ، ولم تكن "هيلين" قد تعرفت بعد على جميع أفراد العائلة ، والحق أن بعضهم كان ينظر إليها والى "جريج" نظرة عدائية لعدم إعداد حفل خاص للخطبة لدعوتهم جميعا، كما اعتبر بعضهم هذه الزيجة فاشلة وأخذوا ينظرون باستنكار إلى "هيلين" التي أساءت اختيار الثوب الملائم لهذه المناسبة ، فارتدت ثوبا واسعا جداً .

قالت "هيلين" مازحة :

– آه ، إنه يبدو رجلا متسامحا ولكنه في الحقيقة لايزال متمتعا بعقلية بدائية.

شعرت "چوزفين" أن "هيلين" تخدعها ، فقالت بحدة :

– "هيلين" ...

ولكنها تماسكت وابتسمت بخبث ثم صاحت قائلة :

– تانت "ماري" ! إن "هيلين" هنا وهي تتحرق شوقا لتبادل الحديث معك !

كان الوقت قد تأخر لتجنب هذا الحديث ! فقد اتجهت نحوهما القبعة المزينة بالأزهار المتعددة الألوان ، والحق أن تانت "ماري" عندما تحدد

هدفها لاتتراجع عنه أبداً .

قالت "چوزفين" في ابتسامة عذبة :

- أعتقد أن أمي تناديني ، "هيلين" .. كوني لطيفة مع تانت "ماري" ، وستشعرين بسعادة بالغة في الحديث معها ، فهي تشترك معك في آراء كثيرة بشأن دور المرأة في الحياة !

والحق أن تانت "ماري" - عميدة العائلة - لديها قدرة غير طبيعية على إثارة المشاكل في أقل وقت ممكن ، كما أنها تتقن توجيه الملاحظات اللاذعة ، ولم تكن "هيلين" قد تقابلت معها من قبل ، ولكنها سمعت عنها مايكفي لكي تفكر في تأخير فرصة لقائهما بقدر المستطاع .

قالت تانت "ماري" ذات الثانية والتسعين من عمرها في صر كأنه تنبيه :

- هل تريدين تجنبي ياصغيرتي ؟ هل هناك ماتنوين إخفاءه عني ؟

تمتمت الفتاة وهي تشعر بالابتسامات من حولها :

- كلا بالتأكيد !

- أنا لم أتزوج أبداً ، فقد توفي خطيبي في "جاليبولي" ، ولم أجد بعده من يتحمل المقارنة ، كما أنني لا أومن بالزواج من أجل الزواج فقط ، والآن لماذا تفكرين أنت في الزواج ؟

- لأنني أحبه يا تانت "ماري" .

- هل أنت حامل ؟

كان صوتها حاداً مما جعل الجميع يلتزم الصمت حولهما .

تمنت "هيلين" لو تختفي فوراً إلا إذا جاء "جريج" لنجدتها !

وكانت - للأسف - آخر مرة رأته فيها عندما كان في المطبخ يقف مع أبناء عمومته يتبادلون الحديث بشأن قيامه بوضع حد لحياته الصبيانية .

فأجابت "هيلين" في ضيق :

- كلا .

رددت تانت "ماري" بصوت حاد :

- كلا ؟ حسن ، أريد مزيدا من التوضيح .

ثم غمزت لها بإحدى عينيها وقالت :

- هذا ما يخرس الألسنة ، فهناك ثرثرة دائمة في العائلة !

ولايمكن أن يقول لك أي إنسان فيم يفكر في وجهك لكنهم لايكفون عن الحديث في ظهرك .

أجابت "هيلين" بأسلوب جاف :

- ربما كان من الأفضل أن أكتب على بطاقة الدعوة : إنه ليس زواجا اضطراريا" .

- لا ياصغيرتي ، لاتكوني متشككة إلى هذا الحد ! إنها غلطتك ، فعندما يتم الزواج بسرعة شديدة كما في حالتكما ، يتسبب ذلك في إثارة تعليقات البعض .

- وهل أنت المسؤولة عن تحقيق هذا ؟ أي أنهم قاموا بترشيحك لهذا الدور! لقد خيبت أملي ياتانت "ماري" ، كنت أسمع أنك حازمة في آرائك .

بدا الضيق في عيني تانت "ماري" الزرقاوين الشاحبتين عندما سمعت أصوات الضحكات تعلو من حولها .

- لم تكن هذه مجرد مجاملة يابنيتي .. فأنا أعرف كل مايحدث كما أعرف الطريقة التي ينظر بها البعض إليك والطريقة التي تنظرين بها إلى الجميع ، فربما أكون متقدمة في السن ولكنني لست عمياء . لقد تعرفت على "إريك" منذ الطفولة وكبر حبنا معنا ، ولكنني أعرف أن ذلك لايحدث الآن ، وفي معظم الأحيان لاينظر المرء أمامه فيصطدم بأحد ما ثم يقع ... ولا يجد بعد ذلك مخرجا ، وهكذا قدرت الوضع بالنسبة لك ولـ"هيرمان" .

كاد الكوب يقع من يد "هيلين" وهي تقول :

- "جريج" ! تقصدين "جريج" يا تانت "ماري" !

- حقا ؟

تظاهرت عيناها الخبيثتان بالبراءة ، وشعرت "هيلين" أن خطأها مكشوف للجميع كأنه مكتوب بحروف من نار ...

هل كانت تنظر إلى "هيرمان" ؟ في هذه الحالة لابد من تجنبه ، ولكنها لم

تره ثانية بعد نزهتهما معا في "فيكتوريا بارك" . بالإضافة إلى أن "جريج" أصبح يرفض تماما فكرة خروجهما ثانية مع "هيرمان" وأي شخص آخر ، ولو كان يسيطر على عداوته لأخيه ، فذلك مراعاة لوالديهما فقط .

قالت "هيلين" بإصرار :

– سأتزوج "جريج" يا تانت "ماري" ، فأنا لا أعرف "هيرمان" إلا منذ قليل .

قالت السيدة العجوز بدون أن تبدي أي اهتمام لاعتراضات "هيلين" :

– بالتأكيد ، فلم تكن "اليس" المرأة الملائمة له .. على الأقل في هذه الفترة .. ذكية ولكنها ليست لئيمة ، أما أنت ، فعلى العكس من ذلك ، تبدين فتاة صغيرة ماكرة ، كما أنك تحبين الرحلات ، اليس كذلك ؟ وتحبين التغيير ، أما "جريج" فلا .. ولو لم يكن قد تورط في هذا المأزق لكان الآن سعيداً ينعم بالهناء العائلي، والحق أن "اليس" قد خدمت الاثنين بفرارها ، ولكنها أشعلت النيران بينهما قبل رحيلها ، ومازالت تشتعل إلى الآن ..

بالتأكيد ، "هيرمان" مشهور بنجاحه في إطفاء الحرائق ولكنه لايزال هنا حيا، ويحاول إلقاء بعض الشرارات من جديد ، هل أنت سريعة الاشتعال ياصغيرتي؟

كادت "هيلين" تفقد أعصابها قائلة :

– أنا لا أهتم بمن يحاولون إشعال الحرائق .

لحسن الحظ ، نادى "نيكولا" في هذه اللحظة بأن اللحم قد تم طهوه ، فقرر الفضوليون التوجه لتناول الطعام الموضوع على الموائد المصفوفة بجانب الأشجار .

وكانت "هيلين" قد قررت عدم التأثر بحديث تانت "ماري" ، فأضافت بحسم:

– إن فكرة إقامة أسرة هانئة تسعدني كثيراً .

– اطمئني ياصغيرتي ، فهذا أمر مؤكد ! ولكن هل "جريج" يعرف أنك امرأة متوقدة العاطفة ؟ فهو لايحب الجدال والمناقشات ..

ولكن لو كنت من هذا النوع ، فأفضل لك الارتباط بـ"هيرمان" .. فهو يعشق

الدفاع عن نفسه ولا يهاب الصراعات ! فلا ترتكبي نفس خطأ "اليس" ياانسة، ولا تورطي نفسك .

خرجت "هيلين" عن وعيها قائلة :

– تانت "ماري" ...

ولكن تانت "ماري" كانت قد وجدت فريسة جديدة آنذاك :

ابنة أخ لها انفصلت عن زوجها ، فتوجهت نحوها على الفور .

استدارت "هيلين" فجأة نحو هذا الصوت المألوف الذي يتحدث قائلا :

– إنها سيدة ثاقبة الفكر ! أعتقد أنها قامت بدورها كصحفي رائع .

لم تتمالك "هيلين" نفسها فصاحت قائلة :

– تقصد مصاباً بالشيخوخة .

وكانت تنظر إلى هذه القبعة المزهرة وهي تبتعد عنها محاولة تهدئة نفسها قبل أن تبدأ حديثها مع "هيرمان" ، ثم قالت :

– منذ متى وأنت هنا ؟

– منذ فترة طويلة عندما سمعتك تكذبين .. وأنت تتحدثين عن الهناء الأسري ! ربما كنت في حاجة إلى زوج وأطفال يا"هيلين" ولكنك بحاجة إلى أشياء أخرى كثيرة ..

صدقي خبرتي القديمة !

كان "هيرمان" يرتدي "تي – شيرت" أبيض اللون . و "شورتا" أزرق يبرز ساقيه الطويلتين ، وكانت أشعة الشمس تجعله يبدو مشرقا ورائعا .

– لو كنت تجرؤ على قول أي شيء لـ"جريج" أوغيره ...

قاطعها "هيرمان" :

– يالك من جبانة ! فأنت لم تخبريه بأي شيء بعد ، أليس كذلك ؟ هكذا تتركينه يبكي على كتفيك ، أنت لاتعتقدين انه قادر على تحمل الصدمة ؟

– ليس هذا .. ولكن ..

– أنت غير واثقة في حبه .. هذا كل شيء .

– أنا ...

- عزيزتي ؟

قفزت "هيلين" من مكانها عندما لف "جريج" ذراعيه حول خصرها وجذبها نحوه بطريقة متملكة .

- انت لم تتناولي شيئا ؟ هيا أسرعي .. فلم يعد يتبقى الكثير !

أعتقد أن هذه العائلة مملوءة بالجوارح ...

قال "هيرمان" بابتسامة ساخرة :

- كنا نتحدث قليلا يا "جريج" .

قال "جريج" :

- أعتقد أن "هيلين" غير سعيدة بهذا الحديث .

أسرعت "هيلين" قائلة :

- اه .. لا داعي لذلك يا "جريج" .. أنت تعرف "هيرمان" ..

فهو دائما ..

قال "هيرمان" :

- مستفز ؟

فقالت "هيلين" بثبات :

- كنت اقصد كريها .

- هيا لنرى هل أعد والدي لي قطعة كبيرة من اللحم ! فانا اتضور جوعا !

لم يتركها "جريج" وحدها ، وعلى الرغم من أن "هيلين" شعرت بحمايته لها إلا انها تضايقت بعض الشيء ، وفكرت كم ستشعر بالراحة بعد إعلان زواجهما رسميا !

فسيجد عندئذ كل فرد منهم الهدوء .. ولكن هل هذا وهم ؟

هل سيضع الزواج حلا لجميع المشاكل ؟

كان "جريج" ينوي السفر في رحلة عمل لمدة ثلاثة أيام في "بانجكوك" ولن يعود إلا على موعد الزفاف ، وكانت "هيلين" تشعر بالخوف كلما اقترب موعد إخبار "جريج" بالحقيقة ، وهي لم تكن جبانة كما يقول "هيرمان" ولكنها كانت تريد أن تؤكد لـ"جريج" انها غفرت له ما في الماضي ، حتى

يغفر لها بدوره ماحدث لها في الماضي أيضا .

تحول لون السماء إلى الأحمر عند غروب الشمس وأضيئت المصابيح الموجودة في الحديقة ، وفي هذا الوقت كان الصغار قد بدءوا في اللعب بينما توجه الكبار إلى داخل المنزل للحديث أثناء تناول الشاي ، أما المراهقون ، فقد استعانوا بالكاسيت وجلسوا على الحشائش الرطبة يستمعون إلى الأغاني .

أما الكبار بعض الشيء - أي البالغون من العشرين إلى الثلاثين .. فقد التفوا حول الموائد ليحكي كل منهم عن حياته لأنهم - في الحقيقة - لم يتقابلوا منذ فترة طويلة .

وبالتأكيد كان "هيرمان" محط اهتمام الجميع ، وكان الجميع يوجهون إليه الأسئلة ، وكان يرد عليهم بلطف ويحكي لهم عن مغامراته وعن الشخصيات التي تقابل معها أثناء فترة عمله كصحفي .

شعرت "هيلين" أن "جريج" متضايق بعض الشيء من اهتمام الجميع بـ"هيرمان" ، فعرضت عليه القيام بنزهة قصيرة بين أشجار التفاح والخوخ والكريز التي تعبق الجو برائحتها .

وعندما سارا قليلا ، التف الصغار حولهما وأخذوا يطلقون الصيحات ، فدهشت "هيلين" كثيراً عندما وجدت "جريج" بدأ يهتم بهم ويعد لهم الألعاب لدرجة أنه نسي أن يشرح لـ"هيلين" تماما أصول اللعبة ، وكان يتصرف بطريقة رائعة مع الأطفال على الرغم من أنه عزب ، وهكذا بالتأكيد سيصبح "جريج" رب عائلة ممتازاً .

وبعد قليل ، ابتعدت "هيلين" عنهم وتوجهت نحو مجرى مائي بعيد في الحديقة وكانت في الحقيقة بحاجة إلى أن تبقى وحيدة بعض الشيء ، وشيئا فشيئا تملكها الهدوء نتيجة للصمت والظلام اللذين يخيمان على المكان حولها ، فجأة تذكرت شيئا ، فبما أنها لاتتذكر شيئا مما مضى ، يكفيها أن تقول لـ"جريج" إنها تعرفت منذ فترة على شخص ما ، وعندئذ لن يطلب منها أي تفسير ، أما "هيرمان" ، فمن المؤكد أنه ليس قاسيا

وعديم الرحمة إلى الحد الذي يجعله يخبر شقيقه بكل شيء حتى يسبب له الألم .

والآن ، ما السبب في كونها مكدرة وحزينة إلى هذا الحد ؟

فعلى الرغم من كل شيء .. لا يبدو الموقف سيئا إلى هذه الدرجة ...

الفصل السابع

- اوه "هيلين" ، انا لم اقض ليلة رائعة كهذه طوال عمري ، يجب أن تتزوجي كثيراً .

ثم انفجرت "چيني وست" في ضحكة مجنونة ، فاهتزت خصلات شعرها الأشقر ، وبعد ذلك هدأت لتشرب قليلا من العصير .

قالت صديقة اخرى لـ"هيلين" :

- إنه اكثر احتفالات الزواج التي حضرتها إثارة ، فلم احضر مثله أبداً .

أجابت والدة "جريج" ووجهها يكتسي بحمرة الارتباك :

- كل ما استطيع ان اقوله : إنني سعيدة جداً بعدم اصطحاب تانت "ماري" معي.

قالت "چين" وهي تأتي من جهة المطبخ حاملة الصينية بين يديها :

- لم نكن نعلم انك تنوين الحضور يا مدام "نايت" ، وإلا كنا قمنا باللازم ، على الأقل ماكنا طلبنا منك المساهمة في نفقات هذا الحفل .

وكانت تشير بيديها بحركات معبرة أثناء الحديث ، فأخذت "هيلين" تضحك بعصبية ، فقد قامت زميلاتها بتأجير عرض غير اخلاقي للمشاركة في هذا الحفل الصغير حيث تتسلم "هيلين" هدايا زواجها . ولكن "هانا" وصلت مع شقيقتها "إيدا" بدون أن تعلمهن بقدومها ، مما تسبب في ضيق مؤقت للبعض ، ولحسن الحظ ، تعاملت "هانا" بطريقة طبيعية وسرعان ما اندمجت معهن ، ولم تستطع "هيلين" ان تحدد ما إذا كانت "هانا" قد سعدت أم انزعجت من مشاهدة هذا العرض غير الأخلاقي ، وإن كانت تشك اكثر في سعادتها ، وعندما انتهين من تناول الشاي ، قالت "هانا" على مضض :

- اعتقد انني و"إيدا" مضطرتان الآن للعودة ، لقد اعددتن حفلا رائعا يافتياتي! اه لو يعلم "نيكولا" بما رايته هنا ، ربما يدب باب بنزيف في المخ .

قالت "چين" مازحة وهي ترفع الهدايا الموجودة على الأرض :

- ولكن ، انتبهي يامدام "نايت" ولا تفكري في عقد مقارنة بعد العودة إلى المنزل ، فنحن سعيدات باحتفالنا بعقد قران ولانريد أن نصبح مسؤولات عن حادث طلاق أجابت "هانا" :

- حقا ، يبدو هذا الشاب المشترك في الحفل وسيما وذا عضلات ولكنني أفضل "نيكولا" أكثر منه مائة مرة ، لقد كان "نيكولا" شابا مغامرا في شبابه .. نعم كان مغامراً جداً ...

ثم غمزت بعينيها لـ"هيلين" على الرغم من نظرات "إيدا" المستنكرة ، فأخذت "إيدا" شقيقتها من إحدى ذراعيها وسحبتها بقوة نحو الباب قائلة :

- هيا بنا يا"هانا" ! يكفينا هذا .

بعد رحيلهما ، غادر المكان عدد كبير من الفتيات وأخيرا بقيت "هيلين" مع ست من صديقاتها ، وأخذن يتحدثن عن علاقاتهن بالرجال بصراحة متناهية حتى رن جرس الباب فجأة ، فقامت "هيلين" لترى من الطارق ، وعندئذ قالت "چين" وهي تضحك :

- احترسي ربما يكون فتى العرض قد حضر من جديد !

ولكن "هيرمان" كان الطارق ، وكان يقف مستريحا ومبتسما ويرتدي "تي - شيرت" ذا لون براق وسروالا من الچينز ، وفي إحدى يديه لفافة يبدو من شكلها أنها هدية .

قالت الفتاة دهشة :

- انت ثانية ؟

- لقد عرفت أنك تقيمين حفلاً صغيراً .

- حفل للسيدات فقط ، ويمكنك الانتظار حتى يقيم "جريج" حفلا لتوديع حياته الصبيانية ، فربما يدعوك ...

استعدت الفتاة لتغلق الباب ولكن "هيرمان" وضع إحدى قدميه ليحول دون إغلاق الباب ، وكان ينتعل حذاء انيقاً جداً إيطالي الصنع .

- ابعد قدمك يا"هيرمان" .

- الا تريدين هديتي ؟ لقد أحضرت لك أيضا زجاجتين من الشراب لنشرب نخب سعادتك .

أجابت "هيلين" وهي تحاول إبعاد قدم "هيرمان" :

- ... سعادة تريد تدميرها بكل الوسائل !

صاحت "چين" فجأة وجرت نحو "هيلين" :

- هل تحدث أحد عن الشراب ؟ من هذا ؟

- مندوب مبيعات .

- ويحمل معه شرابا ؟ وهل معه كتيب لوصفات الحب ؟ وهل يبرهن هو على ذلك ؟

قال "هيرمان" :

- إنه مخصوص للعميل الممتاز .

- من هذا الرجل ؟

كانت عينا "چين" تلمعان ببريق الفضول ، بينما كانت "هيلين" تتشبث بالباب مصرة على عدم السماح له بالدخول .

- "هيرمان نايت" .

- شقيق "جريج" ؟ "هيرمان نايت" الكاتب ؟ هذا الذي ظهر في التليفزيون مساء أمس ؟

كانت "چين" تتحدث بصوت منخفض غير مسموع كأنه تمتمة مختنقة .

ثم أضافت :

- وتطلبين منه أن يرحل ؟ هل جننت ؟

قالت "هيلين" :

- لم ادعُ رجالا لهذا الحفل .

- اسمعي ، سأواصل الحفل مع "هيرمان نايت" في اي مكان وأي وقت...

ثم ازاحت "هيلين" من موقعها الاستراتيچي وفتحت الباب على مصراعيه .

- مساء الخير اسمي "چين" ... واعمل ممرضة ، غير متزوجة ، وابلغ من السن الرابعة والعشرين وقلبي خالٍ تماما .

ومدت يدها نحو "هيرمان" ، فقبلها باناقة ، عندئذ قالت "هيلين" بجفاء :

– دعيه يرى اليد الأخرى يا"چين" التي تضعين فيها خاتم الخطبة .

قال "هيرمان" منتحبا :

– ياله من قدر قاسٍ ! الفتاة الوحيدة في العالم التي وقعت في حبها موعودة لشخص آخر !

ثم ركز نظراته على "هيلين" التي اكتسى وجهها بحمرة الغضب ، ولكن لحسن الحظ ، لم تلاحظ "چين" ذلك ، وقالت :

– هاهو ذا الشراب .. هل هو طازج ؟ ممم .. رائع !

كم كنت أتمنى أن يكون لي شقيق زوج مثلك على الرغم من أن "ستيف" له أربعة أشقاء .. أنت لاتعرفين مدى سعادتك يا"هيلين" ، هيا ادخل يا"هيرمان" لأعرفك على الجميع .

جذبت "چين" "هيرمان" ، وتبعتهما "هيلين" ، فقابله الجميع بفرح وتهليل ، وجلست "هيلين" تراقب "هيرمان" وهو يمارس طرقه الرائعة في استمالة صديقاتها وأخيراً قالت "چيني" بنفاد صبر :

– متى تقررين فتح الهدية يا"هيلين" ؟

والحق أن الفتاة لم تكن تريد فتح الهدية وكانت تنظر إلى لفافة الورق المفضض كأنها طرد من اللغم .. هل "هيرمان" يمكنه أن يقدم لها هدية عادية؟

قالت "سيرينا" :

– هيا ، أسرعي يا"هيلين" .

وكانت "سيرينا" هذه تتحرق شوقا دائما لمعرفة المفاجآت .. إنها طفلة حقيقية ! وهكذا بدأت تفك العقدة بسرعة ، ولكن "چين" طلبت منها أن تكف عن هذا قائلة:

– إنها هدية "هيلين" ! وهي التي يجب أن تفتحها !

كانت "هيلين" محقة .. فلم يكن "هيرمان" من النوع الذي يقدم هدية عادية ، وكانت العلبة تحتوي على قطعة من الخزف الفاخر من نوع السيڤر القديم

وعليها صورة ملاك .

صمت الجميع بينما كانت "هيلين" تتفحص الهدية على الجانبين ، وكانت الصورة لملاك نحيف ذي شعر ذهبي ووجهه يعبر عن صفاء وهدوء لاحدود لهما ، أما جناحاه فكانا منقوشين ببراعة شديدة .. وكذلك ثوبه .

لابد أن هذه التحفة تمثل ثروة .

قالت "هيلين" في النهاية بصوت مرتعش :

– إنها شاذة جداً في وسط الأشياء الموجودة هنا والتي تملأ المكان .

قال "هيرمان" بصوت هادئ :

– ولكنها مناسبة جداً .

تقلصت "هيلين" في مكانها ، ولحسن الحظ لم تلاحظ أي من صديقاتها ذلك لأنهن كن مشغولات بتفحص الهدية ، وقالت "چيني" :

– إنها رائعة يا"هيلين" ، كما أنك محق يا"هيرمان" ، إنها مناسبة جداً .. هيا إذن أحضري له هدية يا"هيلين" .

– آه . كلا ، أنا ...

– هدية ؟ لي أنا ؟ ماهذا ؟

قالت "چيني" بإصرار :

– هيا يا"هيلين" ، أنا متأكدة أنك ستعجب بها يا"هيرمان" ..

اضطرت "هيلين" لإحضار البلوڤر ، والحق أنها لاتعرف السبب الذي جعلها تهتم بتصميمه بسرعة على الرغم من كثرة عملها آنذاك .

أثناء خروجها من حجرة استقبال الضيوف قالت "هيلين"

– يتبقى فيه بعض الغرز للانتهاء منه .

وأتت "هيلين" بهدوء شديد كأنها تتأخر – عن عمد – في إشباع فضول "هيرمان" ، وكم كانت تتمنى الا تبدأ هذا العمل أبداً ... لابد أنه سيعتقد الآن أنها تفكر فيه ، فهو لايعلم أن "هانا" طلبت منها البدء في تنفيذه أكثر من مائة مرة .

وأخيرا فردت البلوڤر .. وكان أسود اللون هادئاً جداً ومصمماً من

الصوف والموهير وكان على شكل حرف ٧ ، وفي وسطه حلية من القطيفة المذهبة المزينة بخيوط من اللون الذهبي والفضي على شكل هالة .

وعندئذ قفز "هيرمان" من مكانه بينما كانت عيناه تشعان ببريق السعادة والإعجاب .

- إنه رائع يا "هيلين" ! انت حقا موهوبة ! هذا ماكنت أتخيله بالضبط فيما عدا... إنه أكثر روعة مما كنت أتخيل .

لم تستطع "هيلين" أن تمنع نفسها من الإحساس بالسعادة ، ثم قالت "چيني" بابتسامة :

- بالإضافة إلى أنه يمكن ارتداؤه على الوجهين ، هيا دعيه يرى الوجه الآخر يا "هيلين" .

ترددت "هيلين" قليلا حتى شعر "هيرمان" بتعبير عينيها المتردد بين الخبث والقلق ، ولكنها تقدمت منه وقلبت البلوڤر على الوجه الآخر ثم وضعته على صدره ، فكانت الحلية عبارة عن شيطان مزين بقرنين وذيل وقدمين من الساتان الأحمر ...

انفجر "هيرمان" في الضحك .

- رائع جداً ! سأرتدي إذن الوجه الملائم لمزاجي ، متى سينتهي ؟ أريد ارتداءه فوراً .

اعترضت "هيلين" قائلة :

- ولكننا مازلنا في فصل الصيف .

قالت "چيني" وهي تأخذ البلوڤر من بين يدي "هيلين" بسرعة :

- يمكنني أن أكمله لك فوراً إذا أردت حتى تستطيع ارتداءه قبل العودة إلى المنزل .

صاحت "هيلين" :

- ولكنه سيسبب له حرارة رهيبة .

- حسن ، في هذه الحالة ، يمكنني الانتظار حتى حلول الشتاء ...

تسببت الملاحظة في استغراق "هيلين" في التفكير في المستقبل ، ففي

خلال شهور قليلة ، ستصبح امرأة متزوجة وربما تصبح حاملاً أيضا ، وسيصبح "هيرمان" عم طفلها .

وتخيلت أنها بمجرد زواجها من "جريج" ، سيختفي "هيرمان" تماما من حياتها.. تُرى هل سيزورهما قليلا نظراً للرباط العائلي الذي يجمع بينهم

- "هيلين" ؟

قفزت الفتاة من مكانها عندما قال لها "هيرمان" :

- هل تحلمين وانت مفتوحة العينين ؟ هل ما قلته هو السبب الحقيقي فيما تفكرين فيه ؟

خمنت "هيلين" أنه يعرف الإجابة من نظراته إليها ، فبدأت ترفع الهدايا التي تلقتها ، بما أن "هيرمان" لم يكن مستعداً لفتح زجاجة الشراب الثانية ، بدأت الفتيات في الرحيل الواحدة تلو الأخرى ولكن على مضض .

وجاء الوقت المنتظر ، وقامت ثلاث فتيات بتوديع "هيرمان" بالقبلات الحارة، وأخيراً رحل الجميع وبدأت "هيلين" و"چين" و"سيرينا" في إعادة ترتيب المكان ، ولكن "سيرينا" القت نظرة سريعة نحو ساعة يدها ، فلم يعد متبقيا سوى ٣٨ دقيقة لإقلاع طائرتها ، وكان الرجل الذي تعمل لديه قد منحها إذنا بـ٢٤ ساعة، ولكن يجب عليها العودة بسرعة إلى "ولنجتون" حيث يبقى السناتور وأسرته خمسة عشر يوما فقط .

وهكذا بدأت الفتاة في جمع حاجاتها المتناثرة هنا وهناك بينما أسرعت "چين" نحو التليفون تطلب لها سيارة أجرة وعندما لاحظت "چين" طريقة سير صديقتها المتأرجحة عرضت عليها مرافقتها حتى المطار ، ثم قالت :

- اتركي كل شيء كما هو يا "هيلين" .

وكانت تشير إلى كومة الأطباق والأشياء الأخرى المتناثرة على الأرض ، وهي تمسك بذراع "سيرينا" التي أخبرت "هيلين" بعجزها عن حضور حفل الزفاف ، ثم جذبت "چين" "سيرينا" نحو الباب وغادرا المكان .

وبعد رحيل الفتاتين ، شعرت "هيلين" أخيراً أنها أصبحت وحيدة مع "هيرمان" ، فذهبت على مضض في اتجاه حجرة استقبال الضيوف

فوجدته يهتم بتفحص البلوفر وكان يرتديه على ناحية "الشيطان" .

– ممم .. إنه رائع في الارتداء ، كما هو رائع في النظر إليه .

قالت "هيلين" بهدوء :

– أنا سعيدة لأنه أعجبك .

– والآن ، كم تريدين مني ؟

– لا شيء ، إنه هدية .

وكانت هذه فكرة "چيني" .. الا تدعه يدفع ثمنه ..

– حسن ، أشكرك يا "هيلين" .. لقد تأثرت جداً بعنايتك هذه !

– لم تكن فكرتي .

– ولكنك نفذتها ، وعلى العموم هذا لطف منك مهما كانت الظروف .

شعرت "هيلين" بالهدوء الشديد الذي يسيطر على المكان بعد الضوضاء التي كانت تملؤه .. عموما مهما كانت الظروف كما يقول .

لابد لها الآن أن تطلب منه الرحيل في أسرع وقت ممكن ، ولكنه كان قد بدأ يجمع الأطباق المتسخة واتجه نحو المطبخ .

– ماذا تفعل ؟

– أحاول مساعدتك فأنا أعرفك لن تتركي كل ذلك لـ"چين" بعد العناء الذي تكبدته في إعداد هذا الحفل .

قالت له بحزم وهي تأخذ من يديه كومة الأطباق :

– هذا ليس شأنك ، سأهتم بذلك بنفسي .

ولكنه استدار ليجمع بقية الأطباق وتبعها نحو المطبخ ، ثم همس قائلا وهو يفتش في صواني المطبخ عن سائل غسيل الأطباق :

– أنت تعرفين أنني أجيد التصرف عندما أريد .

تنازلت "هيلين" عن اعتراضها وذهبت لتأتي ببقية الأكواب والأطباق ، وكان "هيرمان" قد بدأ الغسيل بعد رفع كمي البلوفر .

قالت "هيلين" :

– لقد وضعت كمية كبيرة من السائل .

– هكذا تصبح الأطباق أكثر نظافة .. مثل الحب تماما .. المزيد منه أفضل.

لم تجد "هيلين" ماتجيبه به وبدأت تجفف الأكواب بنشاط ، ثم تضعها في الصوان .

قال "هيرمان" :

– ممم .. اتمنى أن تكوني رقيقة مع ملاكي عندما تنظفينه من التراب .

– لم يكن مفضلاً أن تتصرف بهذا الجنون !

– لم أكن أنوي ذلك ، ولكنني رأيته في زجاج محل ما فشعرت أنه يشبهك كثيراً لدرجة أنني لم أستطع مقاومته ولم أحتمل فكرة أن يشتريه أحد غيري .

اعترضت "هيلين" :

– ولكنه لايشبهني .. فهو نحيف وأشقر .. ولا يشبهني في أي شيء .

قال "هيرمان" بهدوء :

– ربما يشبهك من الداخل ، فهو يشع بالرقة والقوة والحنان .. كما أنه يمنح حبه لمن لايستحقه .

رمت "هيلين" المنشفة على المنضدة وقالت :

– لماذا اتيت يا "هيرمان" ؟ كان يمكنك أن تكلف والدتك بإحضار هذه الهدية بدلا منك ..

– كنت أريد أن أراك سعيدة يا "هيلين" ، ولكنني لا أعتقد أنك ستجدين سعادة في زواجك من "جريج" ، وانا اتيت هنا اليوم بسببه هو .

– بسبب "جريج" ؟ أنا لا أفهم !

– اهدئي ، فهو لم يغير رأيه للأسف ! وينوي إتمام الزواج في الأسبوع المقبل ولكنه رجع من "بانجكوك" .

– أعرف ذلك ، فهو اتصل بي هذا الصباح ، ثم بعد ؟

– إذن لقد لُغي عهدنا .

– أي عهد ؟

– يجب عليّ الا أراك أثناء غيابه .

- ماذا ؟

- لقد منعني من رؤيتك أثناء غيابه .. فهو لايثق بي .. أوبك ؛ لذلك عقدنا اتفاقية .

- اتفاقية تخصني أنا ؟ أنتما الاثنان؟ بدون علمي .

في هذه المرة ، تركت "هيلين" العنان لغضبها وانزعاجها ، وتماسكت كثيراً حتى لاتصفعه ، وخرجت من المطبخ الصغير وأسرعت نحو حجرة استقبال الضيوف بحثا عن شيء تنفث فيه غضبها ، فوقعت عيناها على الملاك .

سألها "هيرمان" بهدوء :

- هل ستصلين إلى هذا الحد ؟ تدمرين شيئا رائعاً كهذا بهدف الانتقام مني...

استدارت "هيلين" نحوه ، إنه يقرأ أفكارها كأنها كتاب مفتوح ! ألا تستطيع أن تخفي عنه أي شيء ؟ كلا ، لن تكسر هذه التحفة من الخزف ، حتى لو كانت هدية "هيرمان" ، لأن شيئا بهذه الروعة لابد من احترامه .

صاحت "هيلين" فاقدة وعيها :

- هكذا تجرؤ .. بم أعبر عن هذا .. التحدث من وراء ظهري ؟ لاأهمية إذن لما أظنه .. فأنا مجرد بضاعة رخيصة الثمن ! وهذا بسبب خطئك .. كما أنك لا تكف أبداً عن إشعال مخاوف "جريج" ! ولو حضرت هنا عشر مرات في اليوم الواحد ، لن يغير ذلك من شيء ! ولن يغير ذلك من مشاعري نحوه !

- ولكنه لايشاركك هذا التفكير ، كما أنه يرتاب في تصرفاتك .

- لو كان "جريج" يرتاب فيّ ، لأمكنه أن يتحدث إليّ ، فنحن لسنا في حاجة إلى وسيط ، وخاصة وسيطا محايدا وغير مبالٍ مثلك !

- لاتهاجميني هكذا يا "هيلين" ، فلم تكن فكرة هذه الاتفاقية فكرتي ، وكل مافي الأمر أنني قلت : إنني أحبك وإنني سأحاول جاهداً انتزاعك منه .. ولكن بدون التحدث أو المكر من وراء ظهرك وبدون اللجوء إلى الطريقة التي

اتبعها مع زوجتي ...

- ياإلهي ! كيف استطعت قول ذلك ؟ أخيراً فهمت السبب في هدوء "جريج" عندما أخبرته ..

- أخبرته بماذا ؟ ماذا قلت له يا "هيلين" ؟

أجابته "هيلين" بتحدٍ :

- قلت له ماكنت قد قررت قوله . إنني كنت على علاقة بشخص ما .

- هذا كل شيء ؟ وكيف بررت السبب في صمتك طوال هذه المدة ؟

أجابت "هيلين" بغضب :

- أنا لم أكذب .. لقد أخبرته أنني ذهبت إلى الطبيب .. وهذا حقيقي .. لكي أعرف منه وسيلة لمنع الحمل وأنه أخبرني أنني .. أنني ..

قال "هيرمان" برقة مصطنعة :

- عذراء ؟

- لقد أخبرته أنني لا أتذكر شيئا مما حدث لي في هذه الفترة ، ولكن ذلك حدث قبل العملية .. وقد وافقني على ذلك .

- بدون أن يطلب مزيدا من التوضيح ؟

- بدون أن يطلب مزيدا من التوضيح .

لقد استقبل "جريج" هذا النبأ بهدوء شديد مما أدهش "هيلين" ، وذلك عندما أخبرته بهذا الأمر وهما في طريقهما من المطار ، وكل ما فعله هو أنه ربت على يدها وطمأنها بسرعة أن ذلك لن يغير شيئا .

شعرت "هيلين" ببعض الضيق قبل أن تفتح فمها !

ولكن يبدو أنه يريد الاحتفاظ بعلاقة طيبة بينهما ، وهكذا فهمت السبب الذي جعله يخشى أن يستغل "هيرمان سوء التفاهم الموجود بينهما .

- ربما شعر بالضيق لأنك رفضت منحه ما وافقت على منحه لشخص غيره .

قالت "هيلين" بصوت ينم على الانتصار :

- حسن ، لو كنت تريد معرفة كل شيء ، فلم أكن أنا التي رفضت منحه

نفسي، ولكن العكس !

– حسن ؟

لمع بريق غريب في عيني "هيرمان" .

– في هذه الحالة ، لقد تصرف معك إذن بنبل غريب وارتكب خطأ جسيماً ، وأعتقد انه يتحرق شوقا الآن لإعادة النظر في الموقف من جديد .

– في الحقيقة لا ، كما أخبرني أننا يمكن أن ننتظر حتى إتمام الزواج ...

– حقا ؟

في هذه المرة ، شعر "هيرمان" بالضيق من أخيه ، وقال :

– أنا أتساءل هل كان ذلك لمصلحتك أم لمصلحته ؟

– بمعنى ؟

– هل تريدين معرفة رأيي حقا ؟

ابتسم "هيرمان" ، فتمنت "هيلين" لو يلتزم الصمت ولكنه لم يفعل .

– صدقيني ، لو كان خاتم خطبتي هو الذي في يدك ما كنت منعتني أبداً عن القيام بذلك ! فأنتما تشعران بالحب الشديد ومع ذلك تقاومان ، شيء غريب ، أليس كذلك ؟

– أنا لم أقل ذلك !

قال "هيرمان" ساخراً :

– ماذا ؟ إنك تحبينه ؟ أم إنه من السهل المقاومة ؟

ألم تسألي نفسك أبداً ما السبب الذي يجعلك منجذبة إلى "جريج" ؟ حسن .. ذلك لأنه ينجح في إشعارك بالأحاسيس التي تشعرين بها نحوي!

نظرت إليه الفتاة بثبات وتذكرت فجأة أول مرة فكر فيها "جريج" في تقبيلها ، لقد شعرت آنذاك أنها وجدت بين ذراعيه وطنها الحقيقي ، وسعد "جريج" بقولها هذا حتى أخبرته أنها تشعر أنهما كانا حبيبين في حياة سابقة .

استطرد "هيرمان" قائلا :

– إن ماتشعرين به نحو "جريج" هو انعكاس لما تشعرين به نحوي .

أتعتقدين أنني لا أرى ذلك ؟ كما أنني أعرف أنك تشعرين بجانبه بالسعادة والأمان ، ولكن ذلك لا يكفي ...

قالت "هيلين" فجأة :

– أنت مخطئ .

ووجدت "هيرمان" كأنه شبح بعيد يقف على حافة هاوية ، وخطوة أخرى وستجد نفسها في هوة مخيفة ومجهولة .

فقالت مؤكدة :

– أنا أحب "جريج" ، وساكون زوجة صالحة له .

– ياله من طموح متواضع !

كانت "هيلين" تجاهد في مقاومة اضطرابها وارتباكها ، ولم تلاحظ أبداً أن "هيرمان" يقترب منها .

– هل أمنيتك تقتصر على كونك زوجة صالحة يا "هيلين" ؟

منزل وأطفال وشعور بالأمومة .. كنت أعتقد أنك تأملين كل ذلك ، ولكن يمكنك الحصول على كل هذا معي أنا ، ثم لماذا تفكرين في منح "جريج" كل ما قد نجحت أنا في خلقه بداخلك من احتياجات ورغبات منذ خمس سنوات ؟

ثم وضع يديه على كفيها برقة وأخذ يتحسس ذراعيها حتى وصل إلى كتفيها ، فهمست بوهن بدون أن تستطيع الحركة :

– كلا .

استطرد "هيرمان" قائلا :

– ربما لاتتذكرينني ولكن الماضي محفور بداخلك وعلى أهبة الاستعداد للظهور في أي وقت .. تخيلي لو أن اقتراب "جريج" منك في ليلة زفافكما يذكرك بما حدث في الماضي ؟ وأن تشعري بيديّ أنا بدلا من يديه هو ؟ وأن تسمعي صوتي أنا يردد أحلى الكلمات في أذنيك بدلاً من صوته هو ؟ وأن تتداخل ملامح وجهه في ملامح وجهي ؟

حملتها كلماته في دنيا أخرى .. وكان "هيرمان" قد اقترب منها والتصق

بها ، فشعرت بدفء جسده بالقرب منها ، ثم شدد قبضته عليها حتى بدأت تتأرجح بينما تشتعل الرغبة بداخلها .

لف "هيرمان" ذراعه حول رقبتها ثم انحنى نحوها قائلا في همس :

- من أنا ؟

- "هيرمان" ...

وفجأة شعرت أنها تحررت من هذا الحلم ، فقد اعادتها كلمات "هيرمان" إلى الواقع ، فقالت هامسة :

- كلا .

ولكن "هيرمان" بدأ يقبلها بحرارة وعنف .

- أنا "هيرمان" .. وأنت تعرفين ذلك ، وقلبك يعلم أنني أول من أخذك بين ذراعيه وأول من ساعدك في اكتشاف سعادة كونك امرأة .. وكم كنت تحبينني طوال هذه الليلة ! وكم كنت رقيقة ودافئة ونافذة الصبر أيضا ، وتتحرقين شوقا لمعرفة كل شيء ..

كنت أكثر الفتيات اللاتي تقابلت معهن دفئا وحرارة ..

كنت آخر حبيباتي وأروعهن .. كنت حبيبتي الوحيدة ..

ثم قبلها بحرارة شديدة ، فشعرت الفتاة بإحساس رقيق ورائع ينتشر في كل جسدها ، وأخذ "هيرمان" يتحسسها وحاولت الفتاة أن تعترض ولكنه أسكتها بقبلة رائعة وبسرعة شديدة خلع "هيرمان" البلوفر ، وبدا صدره عاريا فالتصقت به "هيلين" وهي سعيدة وعاجزة عن إبعاده عنها ، فقالت :

- "هيرمان" ...

ولكنه طمأنها قائلا :

- سيكون كل شيء على مايرام يا عزيزتي .. أعرف ذلك ..

أعرف ذلك ..

ثم وضع يديه على رأسها واقترب منها وهو يشدد قبضته عليها ، وأخذ يقبلها في رقبتها وكتفيها وهي سعيدة جداً .

- "هيرمان" !

وهكذا حتى فقدت قوتها تماما ، وشعرت أنها لم تعد تستطيع السيطرة على نفسها ، ولكن لو كرر "هيرمان" فعلته الأولى معها وقضى ليلته بجانبها ، لن يستطيع الابتعاد عنها ثانية وكانت هذه حقيقة مؤكدة بالنسبة له ، لقد انتظرها طوال خمس سنوات ولن يجعلها تفقد الثقة فيه مقابل ليلة عابرة ، وأخيراً استجمع قواه وابتعد عنها وظل يراقب ملامح وجهها البريء وقال :

- كم أنت جميلة !

ثم اقترب منها ثانية ليقبلها قبلة أخيرة وقال وهو يمسك بخصرها :

- لقد صرخت باسمي منذ لحظة ، هل تذكرينني دائما عندما تجدين نفسك بين ذراعيه ؟

وأخذ يتأملها قليلا حتى لاحظ أنها بدأت تعي ماحدث بينهما منذ لحظات ، فارتسمت على ملامح وجهها الدهشة والخوف .

- هل عادت لك الذاكرة يا "هيلين" ؟ .. هل قفزت إلى ذهنك بعض الذكريات؟

كانت "هيلين" تتأرجح كأنها على وشك أن تفقد وعيها ، فأمسك "هيرمان" بها حتى تماسكت وقالت بصعوبة :

- كلا !

- ولا أي شيء ؟

- كلا !

- ومع ذلك ، رأيتك تزدهرين بين ذراعي كالأزهار في الصحراء عقب الأمطار الغزيرة .. كان يمكنني استغلال ضعفك .. وأنت تعرفين أنك كنت ترحبين بذلك ، ولكنني أريد أكثر من ذلك ، فلا أريد أن أكون مجرد ضيف عابر في حياتك يا "هيلين" ، ولكنني أريد مشاركتك حياتك كلها ، وأتمنى أن تدعوني بنفسك لمشاركتك إياها .

ثم أمسك بيدها بين يديه وكانت "هيلين" ترتعش بشدة ، وفجأة ابتعدت عنه بعنف وعصبية وقالت :

- كلا ! أبداً ... لن أسبب أي ألم لـ"جريج" .. إنه يحبني .

- ذلك إذا لم يكن يلجأ إليك لملء فراغ حياته بشخص يحنو عليه ؟ هو لا يحبك يا"هيلين" لأنه لن يتمكن أبداً من طرد "اليس" من ذهنه .. إنه يريد "اليس" ولم يرد غيرها طوال عمره ، ولكنه تأكد أنه لن يستطيع الوصول إليها ، فقرر البحث عن بديلة لها .. وكنت أنت البديلة !

- أنت تكذب ، أنت تقول ذلك لـ ...

- أنت مجرد بديلة بالنسبة له : لذلك لم يحاول الاقتراب منك قبل الزواج ، لأنه يخشى مواجهة الحقيقة ، وهكذا قرر اختيار الوقت الذي يصبح خلاله غير مخير كالعادة .

قالت "هيلين" بصوت مرتعش بينما كان "هيرمان" يحيطها بذراعيه حتى لاتفقد توازنها :

- أنا لا أصدقك .

- هل حاول إحاطتك بذراعيه كما أفعل أنا معك ؟

هل حاول النظر إليك كما أفعل أنا معك ؟ هل نجح في إشعال رغبتك كما ...

- كفى !

ابتعدت "هيلين" وهي تضع يديها على أذنيها كأنها تحمي نفسها منه .. إن كلماته لها تأثير قوي عليها وهي لاتريد الاستماع إليها .

كلا ، "جريج" لم يكن أبداً بعيداً عنها .. ولكنه يحترمها ، وعندما يفكر في الاقتراب منها يكون ذلك دائما تحت ستار الظلام .. في السيارة أو على ضوء الشموع في شقتها ، ولم تتخيل أبداً ذلك شيئا غريبا ، فهو يحترمها، وهذا كل شيء ، ولكن "هيرمان" يريد غرس القلق بداخلها لذلك يذكرها دائما بـ"اليس" .

قالت الفتاة بصوت حازم :

- اذهب فوراً وإلا اتصلت بـ"جريج" وأخبرته بكل شيء .

كان لابد له من الخضوع لأمرها نظرا لنظرات العداء التي تملأ عينيها .

قال "هيرمان" :

- أريد أن تصبحي أنت و"جريج" صريحين مع نفسيكما هذا كل ما اتمناه.أجابت بشراسة :

- أهذا كل ماتتمناه ؟

- هذه هي البداية .. فنحن ننتمي لبعضنا يا"هيلين" ، وستعترفين بذلك في يوم ما .. ولكن كل ما أريده أن تصلي إلى هذه النتيجة قبل فوات الأوان ، والآن سأرحل .

ثم أخذ البلوفر الخاص به وارتدى الـ"تي - شيرت" الموجود على الأريكة وقال :

- سأرحل رغما عني .. ولكن ما بيننا لن يتلاشى أبداً مهما فعلت .

- "هيرمان" ...

وقف "هيرمان" ليستمع إليها قبل أن يفتح الباب وعندما استدار نحوها ، ارتبكت "هيلين" بشدة لرؤية نظرة الأمل التي تضيء وجهه .. وكان يبدو أصغر من عمره ..

كأنه عاد خمس سنوات إلى الوراء .. فكان وجهه هادئا ومملوءاً بالطمأنينة .. كما رأته تماما في اليوم التالي لأول ليلة قضتها معه .

لم تكن تريد أن ترحل في الصباح ولكنها كانت مضطرة لذلك .. فكان الوداع حزينا جداً وشعرت أنها ستحتفظ بذكرى هذه الليلة بداخلها على الدوام ، فنهضت من جانبه وهي مقبوضة القلب ونادمة ...

وأخيرا قالت "هيلين" :

- زجاجة الشراب التي أتيت بها ... لقد نسيتها ...

نظر "هيرمان" إلى شحوب وجهها وارتعاش شفتيها وقال :

- احتفظي بها .. احتفظي بها ليوم الزواج .. يوم زواجنا .

ثم تركها وحيدة وسط ذكرياتها .

الفصل الثامن

- هنا ستؤدي القسم يا"جريج" ، بعد ذلك يتم القيام بمراسم لبس خاتم الزواج...

أعاد صوت القس "هيلين" إلى الواقع ، ولم يكن من السهل أن يلاحظ أحد اضطرابها واحمرار وجهها في ضوء الغروب فسعدت هي بذلك .. ألا يعتبر مجرد تفكيرها في أشياء شهوانية في هذا المكان خطيئة كبيرة ؟ وخاصة أثناء البروفة الأخيرة لحفل زفافها ؟ وعندما تفكر في رجل آخر ؟.

إنها تتألم بشدة منذ البارحة نتيجة للصور والأفكار الملحة التي تراود مخيلتها ، وخاصة بعد أن أغلقت الباب خلف "هيرمان" ولم تكف لحظة عن التفكير فيه ، فقد نجح خلال أسابيع قليلة في قلب حياتها رأسا على عقب .. في قلب كل ما أسسته بنفسها ...

حتى الفكرة التي كونتها بنفسها عن نفسها ، إنه لا يحبها ، من المستحيل أن يحبها لمجرد أنه قضى معها ليلة عابرة منذ خمس سنوات مضت ! ولكن ماالذي تشعر به هي تجاه هذا الرجل ، هذا الغريب الحميم ؟ إنها عاجزة عن مجرد التعبير عن ذلك .

وكم من الأحداث توالت خلال هذه الفترة لدرجة أنها لم تعد متأكدة من أي شيء.

حتى مشاعرها تجاه "جريج" أصبحت مضطربة ومتناقضة ، على الرغم من أنها حاولت تصفية الأمور وتوضيحها أكثر من مرة !

كما توسلت إلى الله أن يغفر لها ماتعتبره خطيئة ، ولابد لها من التأكد من قدرتها على الوفاء بهذا الوعد قبل الاقتران بـ"جريج" ، ولابد لها أن تثبت لنفسها أن "هيرمان" مخطئ .

"جريج" العزيز ... ظلت تنظر إليه بينما كان يتبادل بعض الكلمات المازحة مع القس .. إنه طيب القلب ! ولا يمكنها أن تصدق أنه لايزال يحب امراة

أخرى لم يرها منذ عشر سنوات ! ولكن هل "اليس" لاتزال تشغل قلبه بعد كل ماحدث ؟

ولكن الم يقم "هيرمان" ببناء هيكل لتعظيم "ملاكه" الشاهد الوحيد على لحظة صدق حقيقية ؟ والآن هاهي ذي تواجه ذكريات حب مضى ، إن "هيلين" تفهم جيداً أنه من الصعب التخلي عن ذلك عندما يكون الإنسان مفعما بالأحاسيس وقد يبقى الفرد "محبا" لذكرى شخص ما ولكنه لايحبه هو شخصيا .

ومنذ خمس سنوات ، نجحت هي في استمالة شخص غريب ، والآن ، تحاول استمالة صديق ، وأخيرا قررت "هيلين" أن تؤدي هي و"جريج" بروفة اخيرة لليلة زفافهما ...

إنه لايزال يجهل هذا القرار ولكنها قادرة على إقناعه ، لقد اتخذت هذا القرار المهم بعد زيارة "هيرمان" لها في سوق "فيكتوريا بارك" ، وفي هذا اليوم ، تركت "هيلين" "هيرمان" وذهبت لإحدى صديقاتها اللاتي يعملن في التجارة لتنقذها من ورطة ما وكان محل صديقتها قريباً من محلها ، وعندئذ رأت "هيرمان" وهو يدخل إلى محلها ، وكان من الواضح أن "هيرمان" بحث عنها في السوق كله ثم عاد ليتحدث مع "چيني" لأكثر من ساعة قبل أن يقرر الرحيل وكانت "هيلين" تخاف مجرد مواجهته !

ومع ذلك لم تستطع الاختفاء عن نظره ، كما أنه يعلم أنها تنوي الإقامة لدى عائلة "جريج" لمدة أسبوع قبل إتمام الزفاف وخاصة أن الكنيسة لم تكن بعيدة عن المنزل وهكذا لم تستطع رفض دعوتهم لها .. إن "هيرمان نايت" يستطيع التفاخر بأنه جعلها منافقة ومتكتمة لكثير من الأمور ...

لقد رفضت تناول العشاء معهم في اليوم السابق لبروفة الزفاف ، وبعد ذلك قامت "هانا" لتحضر معها بروفة ثوب الزفاف وثوبي "چين" و"چيني" وصيفتيها ثم عليها أن تتفقد هي و"هانا" كل شيء فيما يخص الاستعدادات لحفل الزفاف ، وخاصة حفل الاستقبال الذي سيقام في المنزل ، كما أن جميع افراد عائلة "جريج" مدعوون لهذا الحفل ويجب

دعوتهم فردا فردا عن طريق التليفون كما يجب أن يتأكدا أيضا من حضور كل شخص .

وعندما أخبرها "جريج" أنه ينوي قضاء الليل مع أسرته لأن رائحة دهان منزله تسبب له الضيق ، قررت قضاء الليلة بين ذراعي "جريج" وهي الطريقة الوحيدة التي تمكنها من إبعاد ذكرى "هيرمان" عن رأسها، كما أنه يمكنها بذلك العثور على الهدوء والثقة في كل مرة تواجه "هيرمان".

وكل ماتتمناه الآن أن تنجح هذه التجربة .. كما نجحت التجربة الأولى .. لابد من ذلك .

وبعد أن خرج الجميع من الكنيسة ، انتبهت "هيلين" فجأة إلى أنها لم تستوعب أي شيء مما حدث أثناء بروفة حفل الزفاف .

ولكن لابد لها من معرفة ما حدث قبل يوم السبت ! وهكذا رحب "نيكولا" بالذهاب معها ثانية إلى المذبح بصحبة صديقتها "چين" ، وفي الناحية الأخرى كان الوصيف "دوج سيلرز" يحاول استمالة "چيني" ، وعندئذ وضعت "هيلين" ذراعها في ذراع "جريج" محاولة إبعاده عن الجميع قليلا.

– "جريج" .. لقد أحضرت معي جزءاً من جهاز العروس هذه الليلة ..

كان "جريج" يعلم أنها تنوي قضاء الليلة السابقة للزفاف في منزل عائلة "نايت"، وكما قالت "هانا" لابد من "تزيينها وتدليلها" كما يحدث دائما في آخر ليلة لأي فتاة قبل الزواج ، وبالتأكيد سيقضي "چاك" و"سوزان" وأطفالهما هذه الليلة معهم .. إن ضيافة عائلة "نايت" لا حدود لها .

– ممم ؟

رفع "جريج" رأسه نحو السماء السوداء ، فلم ير سوى نجمة واحدة تلمع .

– نعم .. فلدي قميص نوم رائع من الدانتيل أرسلته لي "سوزان" من الدانتيل الأسود ، صُنع "باريس" ..

يمكنني ارتداؤه هذه الليلة ...

بدا تعبير وجه "جريج" غريبا .. ربما يتخيل هذا الرداء ؟ كم أنها تتمنى ذلك.

التصقت "هيلين" به وهي تهمس قائلة بطريقة موحية :

– يمكنني عمل استعراض خاص للملابس هذه الليلة ..

– "هيلين" ...

توقف "جريج" ، وكانا على مقربة من المبنى الأبيض في هذا الشارع الهادئ الذي تقطن فيه عائلة "نايت" ، وكانت فروع أشجار الكريز تهتز برقة وفقا لاتجاه الرياح مع إصدار حفيف هادئ .

قال "جريج" بهدوء بينما كان الجميع يتوجهون إلى المنزل مباشرة :

– "هيلين" ، هل تنوين ما أتخيله حقا ؟

لم تجب "هيلين" عنه واكتفت بأن تحيط رقبته بذراعيها وأن تقرب فمها من فمه، في البداية كانت قبلة "جريج" دافئة ، وفجأة شعرت "هيلين" بشيء ما ولكنها سرعان ما استبعدته ، فمهما حدث لن تندم أبداً ...

وأخيرا بعد أن ابتعد عنها ، قال "جريج" بضعف :

– "هيلين" .. اعتقد أننا كنا مقتنعين بضرورة الانتظار .

– ولكن ما الذي ننتظره ؟ أنت تعرف أنني اعتبر نفسي فعلا متزوجة .. أرجوك يا "جريج" ، أنا أحبك ، كما أنني انتظرت طويلا !

– ولكن هذه الليلة .. في منزل والدتي ..

فوجئت "هيلين" بفكرة أنها لو عرضت ذلك على "هيرمان" لم يكن ليرفض أبداً...

– "جريج" .. إن أسرتك تنام نوما عميقا .. وهذا يعتبر نوعا من المزاح ..

إنها حقا تريد قضاء هذه الليلة معه ولكنها لاتريد مشاجرته ، وأخيرا التصقت به ورمت رأسها إلى الوراء بطريقة مثيرة .

– أنت ترغبني يا "جريج" ؟

سادت دقيقة من الصمت المطبق ، وأخيرا قال "جريج" بصوت دافئ ومطمئن :

– بالتأكيد ، أرغبك ياعزيزتي .. لكن .. لماذا هذه الليلة ؟

لماذا لاننتظر حتى نكون في منزلنا ؟

تجاهلت "هيلين" الإجابة عن أسئلته وأخذت تتحسس شفتيه بأصابعها .

- إنني لم أرك كثيراً خلال هذه الفترة الأخيرة وأشعر أنني أفتقدك ..

- ولكنني أريد لك الكمال ..

- سيكون ذلك يا "جريج" .

وافق "جريج" في النهاية ولم يحاول التعمق أكثر من ذلك في هذا الطلب المفاجئ.

- حسن جداً ، مادامت هذه رغبتك .

- لابد أن تكون أكثر حماسا !

ابتسم لها "جريج" ، فقالت له :

- هل سنتقابل في حجرتك أم في حجرتي ؟

قال "جريج" وهو يجذبها نحو الممر :

- في حجرتك إذا أردت ، لقد وعدت باصطحاب "دوج" ووالدي لتناول مشروب في الخارج عندما تقومين أنت ببروفة ملابسك .

وهكذا لو رآني أحد وأنا أسير بمئزري فسيكون أهون من رؤيتك بقميص نومك المصنوع من الدانتيل الأسود ...

سارت "هيلين" وهي تضحك بعصبية .

- أعتقد أننا اتفقنا يا "جريج" .. لا أعرف إذا كنت تتذكر أم لا ولكننا سنتزوج يوم السبت .. وسيرى الجميع أن عدم تحركنا لنبحث عن بعضنا لهو الشيء الغريب ، وليس العكس .

تلاشت عصبية "هيلين" عندما لاحظت صفاء وجه "جريج" وابتسامته ، فقالت :

- إنني حقا أحبك .

ربما ، دهش "جريج" لقولها هذه الكلمات بإصرار والم ، ولكنه لم يقل شيئا واكتفى بقوله :

- أنا أيضا أحبك يا "هيلين" .

قالت "هيلين" وهما يدخلان المنزل :

- انتبه ، لا أريدك أن تأتي إليّ وأنت ثمل ، سأنتظرك في الفراش ومعي عصا غليظة ..

- لاتخافي ، سأعود إلى المنزل وأنا أقود السيارة بنفسي وتأكدي أنني لا أريد أن أقضي آخر ليلة لي كعزب في السجن لمخالفة تعاليم القيادة .

ثم دخلا المنزل معا ولو كانا استدارا لرؤية من يخرج في ظل الجراج ، لشاهدا "هيرمان نايت" .

هكذا يرمي ملاكه بنفسه بين ذراعي منافسه .. لقد حذرها منذ البداية ، والآن مادامت هناك مخاطرة ، لابد له من التدخل مهما كان الثمن ..

لماذا تحاول "هيلين" أن تبدو مخلصة ؟ هل حقا تحب "جريج" ؟

إن الموقف يتحول ضد "هيرمان" وأصبح مجال تحركه ضيقاً للغاية ، والحقيقة أنه لم يعد أمامه خيار ... ولكن "هيلين" تتصرف بيأس شديد بدون أن تعمل حسابا للعواقب .

لابد له من أن ينقذها من نفسها ، كما أنقذته هي من نفسه منذ خمس سنوات ، إنها تحتاج إلى صدمة هي أيضا لتجد نفسها ، ولكن من المؤكد أنه يخاطر باحتقارها وبكرهها له ومع ذلك ستفكر جيداً .. ولن تسير هكذا بدون تفكير نحو ما تسميه مصيرها .

وبعد ذلك .. سيحاول .. ولم يعد متبقيا أمامه إلا الثقة في الحظ والحب ، وربما يمكنه منع ملاكه من السقوط مع الاحتفاظ به لنفسه .

الفصل التاسع

هبطت "هيلين" السلالم ودخلت المطبخ وهي تقول بسعادة بينما ترحب السيدة العجوز بقدومها بابتسامة :

- صباح الخير يا "هانا" !

فوجئت "هيلين" بـ"نيكولا نايت" جالسا على المنضدة وهو يتمتم بكلمات غير مفهومة من وراء الجريدة ، إنه مشهور بأنه يكون طيب المزاج في الصباح ويهتم كثيراً بقراءة النشرة الجوية ، كما يسرد ماينوي عمله في الحديقة .

وكانت "هانا" تجلس امام زوجها وهي تمسك بفنجان الشاي وتشير إلى "هيلين" بطريقة موحية .. هل ينويان الاهتمام بشؤون المنزل اليوم ؟ إن ذلك مغاير لعاداتهما ، وحقا لم تقابل "هيلين" زوجين متفقين إلى هذا الحد .. فيما عدا هي و"جريج" .. وبينما كانت تنظر للمكان باهتمام كانها تراه لأول مرة ، كانت ملامح وجهها تكشف عن ابتسامة رائعة ، الأشياء ، الأشكال ، الألوان ، كل شيء يبدو في عينيها أكثر تناسقا وأكثر لمعانا .

قالت "هانا" :

- يبدو أنك في أحسن حال هذا الصباح .. انا سعيدة لأنك قضيت ليلة سعيدة امس ، فقد كان يبدو على وجهك الإرهاق كثيراً .

جلست "هيلين" وأخذت تعد الفطور الخاص بها ، وما كان يزعجها أن تشعر - لشدة سعادتها - أنها تبدو شفافة .

الحق ، أنها لم تكن سعيدة بمعنى الكلمة ، ولكنها مملوءة بشعور غريب وإحساس رائع بالهدوء .. لقد انتهت مخاوفها وشكوكها ! والآن يمكنها أن تسعد بزواجها وهي تنعم بالهدوء في روحها والانشراح في قلبها .

تناولت "هيلين" عصير البرتقال وبدأت تتناول فطورها وهي تستمع إلى حديث "هانا" الهادئ ، إنها تشعر بالحيوية والسعادة ، وكم انها تتحرق شوقا لحضور "جريج" لرؤية وجهه في ضوء الصباح ولاكتشاف سعادته

الشخصية .

هل يشعر هو أيضا بالسعادة بعد هذه الليلة التي قضياها معا ؟ فلم يعد هناك وجود لهذه الذكريات الماضية .

لقد ذهبت إلى حجرتها بعد الأمسية التي بدت كأن لا نهاية لها ، وبعد أن دخلت في الفراش ، أمسكت بأحد الكتب حتى لاتفقد صبرها تماما ولكنها لم تستطع التركيز في القراءة .

وهكذا قررت الاسترخاء في الظلام بحثا عن الراحة والهدوء ولكن هيهات .. إن الساعة حوالي الرابعة .. هل يحتاج إلى كل هذا الوقت ليحضر إلى المنزل ؟ هل لـ"جريج" اهتمامات أخرى تشغله اكثر من رغبته فيها ؟ كلا .. إنه يحبها ، وسيحضر ..

ربما لايريد جذب انتباه والده فقط إذا أصر على العودة مبكراً ، ولكن كيف يمكنها النوم وهي تشعر بكل هذا القلق والعصبية ؟

وفجأة ، انتبهت عندما وجدت من يقبلها بحرارة شديدة .

- "جريج" ..

رفعت يديها نحو "جريج" وكان عندئذ بجانبها في الفراش .

وفجأة أخذ يتحسسها بقوة وتملك ، ففوجئت "هيلين" بتعجله إلى هذا الحد ، والحق انها لم تكن تتخيل ذلك وظنت انهما سيقضيان بعض الوقت أولا في الحديث والتقرب من بعضهما ..

- "جريج" .. انتظر ..

وهاهي ذي الآن تستعيد هذا المشهد من جديد ، عندما التصق بها "جريج" وضغط عليها ثقله وبقوة غريبة حتى كاد قلبها يتوقف عن الحركة ، فهي لم تعهده ابداً عاشقا رقيقا كما كانت تتمنى دائما ، وأخذ يقبلها في جميع أنحاء جسدها حتى شعرت "هيلين" كأنها وقعت في الفخ لدرجة أنها ندمت على قرارها هذا ، كان يمكنها الانتظار حتى يتم الزواج لكي تتلاشى كل مخاوفها ، ولكنها اثبتت له حبها بهذا القرار و"جريج" يستحق ذلك ..

قالت الفتاة بيأس :

- "جريج" .. انتظر ..

إنه يتجاهل ألمها ولكنها هي التي دعته إلى فراشها ولو حاولت إبعاده عنها الآن، بالتأكيد فسيحقد عليها .. ولكن لابد من تهدئته بأي طريقة حتى يهيئ نفسه للاستماع إليها ، ولكن كيف السبيل إلى ذلك ؟ لقد فاجأها أثناء نومها فلم تقو على مواجهته .. لقد ظنته "هيرمان" خلال لحظات قليلة .. من يعرف ، ربما لو نظرت إلى ملامح وجهه الهادئة الآن فستفقد سيطرتها على نفسها ؟

مدت "هيلين" يدها لتضيء النور ولكنها كادت ترمي بالمصباح عندما صرخ قائلا :

- كلا !

ثم أمسك بذراعيها وانحنى فوقها ليسيطر على حركاتها ، فشعرت "هيلين" بشيء غريب وإحساس جديد جعلها ترتبك ، فهمست قائلة :

- ولكنني .. أريد رؤيتك .

- كلا .. لست في حاجة إلى رؤيتي .. وأكتفي بما أفعله معك وبما تفعلينه معي..

سرت قشعريرة في جسدها لدرجة أنها عجزت عن الحركة ، فهي لم تشعر أبداً بمثل هذا الإحساس .

أخذ يقبلها ويشدد قبضته عليها حتى فقدت سيطرتها على نفسها تماما وكادت تصرخ طالبة منه التوقف ، كلا الاستمرار دائما ..

ثم همس في أذنها بصوت غريب :

- أنا حبيبك .. حبيبك الوحيد الذي يرغبك ..

- نعم - آه .. نعم ..

- كرري ذلك .. حبيبك الوحيد .

- حبيبي الوحيد .

- قولي : إنك لن تحبي أحداً غيري ..

- أبداً .. لن أحب أحداً غيرك .. أنت فقط ..

- وإنك لن تبتعدي أبداً عني .

- أبداً .. اتوسل إليك ..

إنها تتمنى الآن أن يقترب منها اكثر واكثر وأخيرا التصق بها وغابا معا في عالم رائع جديد ..

- "هيلين" ؟

ارتجفت الفتاة واكتسى وجهها بحمرة الخجل ، كانت "هانا" تتحدث إليها وتنتظر إجابة عن سؤالها :

- أنا أسألك هل تريدين مزيدا من البيض ؟

نظرت "هيلين" إلى الطبق الموجود أمامها ودُهشت عندما لاحظت أنها تناولت كل الطعام دون أن تعي ذلك .

- ساكون سعيدة جداً لو اعددت لك مزيدا من الطعام ، ولكنني اعتقد أنك ترفضين تناول كمية كبيرة من الطعام قبل البدء في العمل ..

رفع "نيكولا" الجريدة عن وجهه وهو جالس على الطرف الآخر من المنضدة وقال :

- "هانا" ، بحق السماء ، كفي عن مضايقة الفتاة !

ظلت "هيلين" دهشة فلم تر أبداً "نيكولا" يتحدث إلى زوجته بهذه الطريقة ، ولم تكن قد لاحظت عينيه المحتقنتين ووجهه الشاحب قبل أن يبعد الجريدة من أمامه.

هزت "هانا" رأسها موافقة وقالت :

- دائما ثمل ..

ثم قالت :

- هل تريد مزيدا من القهوة ياعزيزي ؟

وضع "نيكولا" الجريدة ونظر إلى زوجته بحقد .

- هل ترين ذلك شيئا غريبا ؟

- اسمع ، انت تستحق ذلك ! وستدفع غاليا ثمن غلطاتك !

ثم وجهت حديثها إلى "هيلين" التي بدت مهتمة بعض الشيء :

– إنه مصر على الشرب دائما ، ولهذا السبب يشجعني أهلي على الخروج دائما معه ..

– لتعلمي أنني قادر على ..

انفجرت "هيلين" في الضحك .

– يجب أن تعترف أنك كنت عاجزاً حتى عن صعود السلالم !

نظرت "هانا" إلى "هيلين" بطرف عينيها .

– لقد ارتمى على أريكة حجرة استقبال الضيوف ! ولكن ذلك لم يمنع من سماع صوت زمجرته ..

– يبدو أنك مرهق جداً هذا الصباح يا أبي !

ارتجفت "هيلين" عند سماع هذا الصوت وراءها .

– ما رأيك في كوب آخر إذن ؟

نظر "نيكولا" إلى الكوب المملوء الذي يمده نحوه ابنه ثم وضع يده على فمه وأسرع يختفي وراء الباب .

– "هيرمان" ألا تخجل من نفسك ؟

ثم انفجرت "هانا" في الضحك قائلة :

– أنت تعرف أن والدك لايحتمل ذلك ..

– إلى هذه الدرجة ، ليس هناك خطر ! والآن أعتقد أنني سأتناول هذا الكوب بنفسي !

وبينما ذهبت "هانا" لإعداد القهوة ، جلس "هيرمان" في مكان والده ، وكانت "هيلين" تركز نظرها على فنجان القهوة الموجود أمامها وهي تعي تماما أن نظرات "هيرمان" مثبتة عليها .

– صباح الخير يا "هيلين" .

رفعت عينيها نحوه وهي تقول بثبات :

– صباح الخير يا "هيرمان" .

كان يجلس واضعا ذراعيه على المنضدة ويسند ذقنه بيديه ، وكان وجهه جاداً ومنتبهاً .

ثم همس قائلا :

– هل نمت جيداً ؟

اكتسى وجه الفتاة بحمرة الخجل ، هل عرف شيئا ؟ هل سمع "جريج" وهو يسير قادما إليها ؟ هل سمع صرخاتها ؟

– نعم ، أشكرك .

ولكنها لم تفعل أي خطأ .. لقد عبرت فقط عن حبها للرجل الوحيد الذي ملأ عليها حياتها ، وهذه حقيقة ، فقد قضت الليل بين ذراعي حبيبها تنعم بدفء جسده ، ولكنها لم تجده عندما استيقظت وعندئذ شعرت بالوحدة أكثر من أي وقت مضى حتى أيام مرضها .. وكم كانت تتمنى أن تستيقظ بين ذراعيه .. أين كان ؟ ولماذا لم يأت إليها ؟

قال "هيرمان" :

– أنا أيضا .

إنه يحاول مضايقتها من جديد ، إنه لم يعد ينظر إليها بنفس نظرة الضيق والغضب ، ولكنه يبتسم برقة وهي تشعر بأن هذه الابتسامة تتحسس جسدها ، إنه لايزال يشعرها بالاضطراب حتى بعد هذه الليلة التي قضتها مع "جريج" ..

استدارت الفتاة نحو وجه "هانا" المطمئن .

– أين "جريج" ؟ هل ذهب مبكراً إلى عمله ؟

– أشك في أنه ذهب إلى أي مكان !

كان صوت "هانا" مملوءاً بالسخرية وهي تصب القهوة في فنجان "هيرمان" .

ثم استطردت قائلة :

– إنه في حالة أسوأ من حالة أبيه .. ألم تسمعيهما عند عودتهما في هذه الليلة يا "هيلين" ؟ كانا يغنيان ويرقصان !

ويبدو أن "جريج" وقع مغشيا عليه على أرض حجرة استقبال الضيوف ، ولايزال هناك .. إنه فقد القدرة على الوصول إلى أريكة حجرة المكتب .. أما

أنت يا "هيرمان" فكف عن التصرف بهذه الطريقة الملائكية ! خاصة عندما طلبت منهما أن ترافقهما لتقود السيارة حتى يستمتع "جريج" بليلته كما قلت ! لقد أخبرني "نيكولا" بكل شيء وقال لي : إنك لم تكف عن شراء المشروبات الكحولية لهما بينما جلست أنت في هدوء .

تحولت الرجفة التي سرت في جسد "هيلين" عند بداية حديث "هانا" إلى خوف شديد .. إذن لقد فقد "جريج" وعيه ..

تجمد الدم في عروقها ودُهشت كثيراً .. لو كان "هيرمان" هو الذي ..

لم تنتبه "هيلين" إلى أنها نهضت من مكانها إلا عندما امسكت بطرف المنضدة حتى لا تقع على الأرض .. شعرت كأن ساقيها من المطاط وأن رأسها مملوء بالأفكار المختلطة ..

نظرت إلى "هيرمان" ، فوجدت على وجهه تعبير انتصار هادئاً إذن لقد اتضح كل شيء .

- أنت !

انفجرت الكلمات من شفتيها الشاحبتين ولكن صوتها كان مسموعا بالكاد ، ورددت في هلع :

- هذه الليلة .. كنت أنت !

استراح "هيرمان" في الكرسي وعندئذ فُتحت أزرار قميصه فظهرت في صدره علامة حمراء .. العلامة التي أحدثتها له .

ظلت الفتاة جامدة في مكانها ، جاحظة العينين عندما رفع "هيرمان" أصابعه نحو هذه العلامة أسفل رقبته ، ولم يكن يبدو على وجهه أي إحساس بالضيق أو بالندم .

همست قائلة :

- أي نوع من الرجال أنت ؟ كيف تفعل شيئا كهذا ؟

أجابها بهدوء :

- حسن .. بسهولة لم أكن اتوقعها !

تدفق الدم فجأة إلى وجهها الشاحب وصرخت :

- أنت شخص كريه يا "هيرمان نايت" .. أسوأ شخص قابلته طوال حياتي ! اتمنى أن تدفع ثمن ذلك غاليا !

ثم انفجرت في البكاء وخرجت مسرعة من المطبخ تاركة "هيرمان" الذي قفز من مكانه و"هانا" في رعب شديد .

فرت "هيلين" نحو أول غرفة وجدتها في طريقها لتخفي عارها وألمها وعندئذ كادت تتعثر في جسد ملقى على الأرض ، ومن خلال دموعها ، رأت "جريج" يتحرك ببطء ويحاول النهوض بألم ، وأخيرا فتح عينيه قائلا :

- "هيلين" .. هذا أنت ؟ ماذا حدث ؟ ما كل هذه الضوضاء ؟

حاولت السيطرة على نفسها ، فقد كانت تتمنى أن تركله بقدميها عقابا له على ما تسبب في حدوثه لها :

ولكنها تماسكت وجرت نحو النافذة وفتحتها لتستنشق الهواء الطيب محاولة تهدئة ثائرتها .

"هيرمان" ، كان هو .. لهذا السبب لم يحاول إضاءة المصباح ، لهذا السبب كان يتصرف معها بسرعة شديدة ، وإلا كانت فهمت كل شيء .. حتى في الظلام لم يكن هو "جريج" بشعره الطويل وعضلاته القوية وصوته الغريب .. ولكنها لم تلاحظ أي شيء ..

ومع ذلك راودتها ذكرى ما وفكرت "أنها لاتحب هذا الرجل بما فيه الكفاية" .. ولكنها غابت معه في هذا العالم ..

وتحولت مقاومتها إلى رغبة عارمة ؟

- "هيلين" ؟

تعرفت "هيلين" على صوت "هيرمان" ، فصرخت قائلة :

- لاتلمسني .. أنت وحش !

- ولكنني سعيد لأن هذه الفكرة عني لم تكن لديك .. منذ ساعات قليلة ...

ابتسم "هيرمان" ، وفجأة اختفى ضعفها ورقتها وصرخت بصوت عال :

- هل هذا شيء غريب ؟ هل تجد الاغتصاب موضوعاً يستحق المزاح ؟

- لم يكن اغتصاباً .

- اعتقدتك "جريج" .

- في الدقائق الخمس الأولى ، ربما .. كنت تطلبين من "جريج" "الانتظار" . ولكن أنا .. كنت تطلبين مني بل وتتوسلين إليّ لكي أواصل .

- لم .. لم أكن أعرف أنه أنت .. كانت الحجرة مظلمة ..

كانت كلماتها كاذبة حتى في أذنيها .

- كنت تعرفين أنه أنا يا ملاكي .. وهذا مايسمى برد الفعل المنعكس .. كنت تعرفين .. ولكنك لم تسمحي لنفسك بتأكيد ذلك خوفا من اضطرارك للابتعاد عني ، كان ادعاؤك الجهل دافعا لسعادتك .. ربما كانت النية سيئة ، ولكن لو تحدثنا عن النية السيئة .. فكيف تسمحين لنفسك بالزواج من رجل تضطرينه لمشاركتك الفراش رغما عنه ؟

- أنا لا أعرف عن أي شيء تتحدث .

- يالك من كاذبة ياعزيزتي ! لقد كنت في الحديقة مساء أمس ورأيتك وأنت تحاولين إقناع "جريج" المسكين بالموافقة ، وشعرت أن الرغبة لم تكن هي التي تحركك ولكن اليأس ..

و"جريج" أيضا يعاني نفس الشيء ، فقد كان سعيدا بمحاولتي دفعه للشراب ، وكان يوافقني مثلك أنت .

- إذن ، أنت ..

- موقف يائس و تصرفات يائسة ، لم أكن لأستطيع أن اتركك هكذا يا"هيلين" ! على الأقل ، ليس قبل أن أعرف الدافع المفاجئ الذي جعلك تطلبين الحب من شخص لاتبالين به ، ولم أذهب هذه الليلة إليك في حجرتك إلا لأؤكد لك وأوضح لك الأمور والغموض ، ولكن بمجرد أن اقتربت منك وشعرت بتعلقك بي ، فقدت عقلي تماما ..

صاحت "هيلين" :

- أنت تكذب ! لقد حضرت إليّ وأنت عارو ..

- الحقيقة كنت أرتدي مئزر النوم ولكن بمجرد أن لمست كتفيك ، نظرت نحوي ووضعت خدك على يدي وهمست باسمي ..

- كاذب !

- ثم قذفت بالغطاء بعيدا عنك ، وعندما لمست قميص النوم الشفاف الذي ترتدينه ، ضعفت تماما .

صاحت "هيلين" :

- ونواياك الحسنة ؟ أنت شخص قذر ! وعديم الذمة ! لقد استغللت موقفي..

- حقا ؟ لم أشعر أبدا أنك تقدمين تضحية ..

وعندما أغمضت "هيلين" عينيها ، أشفق "هيرمان" عليها وتحدث إليها بعذوبة :

- لقد فقدت عقلي تماما يا"هيلين" .. لقد كنت رقيقة ودافئة وذكرت اسمي أثناء نعاسك .. أنا لم اقترب من أي امرأة منذ خمس سنوات ، وأخيرا وجدت الأحلام التي طالما أرقتني ليالي طويلة تتحول إلى حقيقة وواقع أمامي ، أنت وأنا ، معا من جديد .. عندئذ عاودتني الذكريات فلم أقاوم رغبتي .. أتفهمين ذلك ؟

كان ضوء الصباح يملأ الحجرة حولهما ، وفجأة ارتسمت علامات الارتباك الشديد على وجه "هيلين" رغما عنها ، فقال "هيرمان" :

- يا إلهي ! لقد عادت إليك الذاكرة ! وهذا هو السبب في ضيقك المفاجئ ! لقد تذكرت كل شيء ، أليس كذلك ؟

وأنت الآن لاتتمنين الانتماء لـ"جريج" ولا تريدين التخلص مني . كان وجه "هيلين" المكسو بحمرة الخجل يؤكد حقيقة كلماته .

- ألا تعرفين انك بذلك تستطيعين أن تقضي حياتك هائمة على وجهك من عشيق إلى عشيق بحثا عن السعادة التي وجدناها معا ؟

ولكنك لن تجديها أبدا .

- إن اقتناعك بنفسك يدهشني دائما ..

- كفي عن ذلك يا ملاكي .. لقد قلت "بحثا عن السعادة التي وجدناها معا .. وأنت تعرفين أنك شاركتني هذه السعادة .

ولكن كيف ومتى عادت إليك هذه الذكريات ؟

إنه لاينتظر إجابتها : فهو يعرفها مقدما .

– في منزلك عقب الاحتفال الصغير ؟ بعد أن قبلتك ؟

نعم ، هو ذلك .

بدا الانتصار والسعادة على وجهه ، ثم انفجر ضاحكا .

– لن تستطيعي الهروب من قدرك هذه المرة يا"هيلين" ..

ولا يمكنك أن تدعي أن الماضي لايعنيك في شيء بعد هذه الليلة .

ارحلي معي يا"هيلين" .. او افضل من ذلك ، لنتزوج يوم السبت .. إن كل شيء معد .. وكل ماينقصنا عمله هو تغيير العريس في الدقيقة الأخيرة ..

كيف يمكنه المزاح ؟ ولكن لو لم يكن يمزح ، فإن الأمر غاية في البشاعة .

قالت "هيلين" بجفاء :

– إن رأيك فيّ سيئ جداً يا"هيرمان" لو تخيلت أنني أوافق على التخلي عن "جريج" لكي اهرب مع شخص اخر .

على الرغم من الحرارة التي تشعر بها ، احست الفتاة بالقشعريرة أسفل ثوبها الخفيف الذي ترتديه .

ثم تابعت :

– ومعك بالذات .. كيف اقترحت ذلك ؟ إلا إذا كان هذا هو المخرج الذي تبحث عنه منذ البداية !

– انت ايضا سيئة الظن بي ! لو كنت اريد منع هذا الزواج ، فذلك من اجلك ولانني احبك انت وليس الأمر بسبب "جريج" ، انا احبك يا"هيلين" واعتقد انك تحبينني .. هل تنوين إفساد حياتك كلها بسبب شعور واه بالذنب مثلما فعل "جريج" ؟ وتتسببين في الام اخرى لا داعي لها ؟

اخذت "هيلين" تفكر لحظة عن اي شيء يتحدث ولكنها تراجعت عن ذلك ، وشعرت فجاة بإرهاق شديد يستولي عليها لدرجة انها شعرت ان راسها يكاد ينفجر ، إنها لاتستطيع الزواج من هذا الـ"جريج" ولكنها لاتستطيع التخلي عنه بهذه الطريقة وبعد كل ما فعلاه معا .

ربما لو كانت قد وقعت في حب شخص آخر ، لكان يمكنه أن يفهمها ولكن ليس "هيرمان" .. سيعتقد أن شقيقه حاول استمالتها .. وهنا ستكون القطيعة الحقيقية بينهما ، وسينظر لها الجميع نظرة احتقار وسيبتعدون عن "هيرمان" اشمئزازا منه ، أما السيد والسيدة "نايت" فالمهما سيكون رهيبا ، وعندما تخيلت كل ذلك ، اغرورقت عيناها بالدموع .

– لاتبكي يا"هيلين" ، سنحاول تسوية كل شيء .

كان ذلك صوت "هانا" التي ابعدت "هيرمان" عن طريقها وطلبت منه مغادرة الحجرة ، وعندئذ حاول "هيرمان" الاعتراض على محاولة والدته إبعاده عن "هيلين" التي استسلمت لدموعها ، وهو يقول :

– ولكن .. إننا في حاجة إلى الحديث معاً .

– ربما تكون في حاجة إلى الحديث الآن ، ولكن فكر في "هيلين" ايضا ، إنها على وشك الانهيار .

– انا ..

ولكن "هيرمان" لم يجد حججا مقبولة ، فتحسس بيديه خصلات شعره الأشعث بعصبية ، وعندما لاحظت "هانا" أنه يرتجف ، بدت حانية عليه .

– انت لاتفهمين شيئا يا امي ...

– اه ، انا افهم اكثر مما تتخيل ، انا لست عمياء ، وانت تعرف ذلك .. لقد تلقت "هيلين" المسكينة ضربة قوية على راسها !

واحاطت كتفي الفتاة بذراعها .

– امي ...

– انا لا اريد ان اعرف كيف استطعت أن تجعلها تصل إلى هذه الحالة ، ولكنني افضل الاحتفاظ ببعض افكاري عنك يا"هيرمان" .

– انا لم اقصد إيلامها .

صاحت "هانا" غاضبة وهي ترتعش :

– حسن ، يمكنك الآن أن تتفاخر بنجاحك !

وعندئذ نظرت إليه "هيلين" فوجدت وجهه يكتسي بالحمرة كأنه طفل صغير

وعندئذ اكتفى "هيرمان" بذلك وابتعد ، فاستطردت "هيلين" وهي تصرخ :
– لو كانت هناك جائزة عن البشاعة ، لحصلت عليها منذ زمن بعيد !
قالت "هانا" :
– إنه يريد إغاظتك فقط ، والآن تعالي معي إلى المخبأ يا "هيلين" .. أريد أن أريك شيئا .
تبعتها "هيلين" نحو المبنى الصغير الموجود وراء الجراج وهي تتساءل هل يمكن لهذه المرأة الدافئة والحانية أن تغفر لها الارتباك والقلق اللذين يستتبعان إلغاء الزواج ، ولكن لو رفضت الارتباط بـ"جريج" ، فستكون بذلك على وشك قطع أي علاقة تعد ثمينة بالنسبة لها .
كان هناك مصباح وحيد يتدلى من سقف المخبأ فيضيئه ، وكانت أرض المخبأ وجدرانه حافلة بأشياء ، كثيرة .
قالت "هانا" :
– كل هذه الأشياء ملك لـ"هيرمان" ، لقد أحضرها له "نيكولا" منذ أن كان في الرابعة من عمره ، وحقا أنا دهشة جداً لكون هذا الفتى المشاغب لم يحاول كسر لعبة أو إفسادها فتبدو كأنها لم يمسسها أحد ، لقد احتفظنا بها على أمل أن يسعد أحفادنا بالعثور عليها في يوم ما .
– ولكن أين أشياء "جريج" ؟
تجاهلت "هانا" سؤال "هيلين" وقالت :
– ها نحن أولاء هنا الآن !
وأخرجت صندوقا كبيراً يحتوي على عدد كبير من الصور والألبومات القديمة ، ثم وضعت كرسيين مكسوين بالتراب بجانب بعضهما ، وعندئذ جلست "هانا" وهي تمسك بين يديها الصغيرتين الألبوم الذي تناولته من الصندوق .
– أنت تعرفين أنني أعتبرك كابنتي يا "هيلين" ، ولا داعي لشعورك بالذنب هكذا ، فأنا لست عمياء وأعرف أن هناك شيئاً ما يسبب لك الانزعاج .. فأنت لست كما عهدتك منذ فترة .
– "هانا" ...
قالت "هانا" مبتسمة :
– لاتقاطعيني مادمت بدأت كلامي .. كما أنني ألاحظ أن اضطرابك بدأ منذ عودة "هيرمان" .

تنهدت "هانا" طويلا ، ثم تابعت :
– إنني أحب ابنيّ ، ولكنهما يتفننان دائما في تحطيم كل منهما سعادة الآخر ، وقد اكتفيت حقا بكل هذه القصص ! فلو كنت تحبين "جريج" فلتتزوجيه ، ولو كنت تشكين في حبك له فلاتتزوجيه .. إن الأمر سهل يا "هيلين" ، ولكنني أعتقد أن ذلك لايمثل المشكلة الرئيسية لك ، أليس كذلك؟
لم تستطع "هيلين" الإنكار أمام نظرة الأم الحانية لـ"هانا" ، فقالت بصوت مرتعش :
– ما الذي حدث بالضبط في قصة "أليس" ؟
هزت "هانا" رأسها قائلة :
– هذا ما تخيلته .
ثم استراحت في الكرسي وهي تضبط ثوبها المصنوع من القطن ، ذا التصميم المكون من الأزهار ، واستطردت قائلة :
– ربما أكون سيدة عجوزاً تدس أنفها فيما لايعنيها ولكن لاضرر في ذلك ، عندما فشل زواج "هيرمان" اعتقد أننا لم نقف بجانبه وأننا اهتممنا بـ"جريج" و"أليس" أكثر منه ، وكم كنت أتمنى آنذاك أن تنتهي الأمور على خير وألا يتألم "هيرمان" ، ولكنني شعرت أنه بتدخلي قد أصل إلى حد كره ابنيّ لي ، وبعد ذلك فهمت خطئي ولا أنوي تكرار ذلك مرة ثانية ، لقد كنت أحب "أليس" كثيرا واحتفظت بعلاقتي بها بعد رحيلها .
صمتت "هانا" لتترك الفرصة لـ"هيلين" لاستيعاب الموقف ، ثم قالت بعد قليل :
– ولديّ بعض صورها .
أمسكت "هيلين" الألبوم الذي أعطته لها "هانا" ، وعندما رأت صورة الزفاف ، شعرت بانقباض في قلبها ..
كان "هيرمان" صغيرا في السن .. أما "أليس" فكانت تبدو سعيدة جداً ، كانت طويلة القامة ونحيفة ورائعة الجمال ، وعندئذ شعرت "هيلين" أنها تكرهها ، ثم أخذت تتصفح الألبوم وتراقب الصور المختلفة التي تحكي قصة زواجهما ، وبعد عدة صور ، لاحظت أن الصور التي تجمع بين "جريج" و"أليس" أكثر من الصور التي تجمع بين "هيرمان" و"أليس" ..
وكان "هيرمان" يبدو عصبيا في بعض الصور كما لو كان يتمنى عدم الظهور فيها .

قالت "هانا" :

– أعتقد أن "أليس" كانت تعرف منذ البداية أنها ترتكب خطأ ولكنها قررت المواصلة ، ثم وقعت في حب "جريج" ، وأعتقد أنها لو كانت تقابلت معه منذ البداية ، لاختارته دون منافسة أو مشكلة ، لقد عاشت "أليس" طفولة رهيبة وذلك لانفصال والديها عن بعضهما أكثر من مرة عندما كانت صغيرة في السن ، ولكنها أخفت ضعفها وراء مظهر التفاخر ، وأعتقد أنها كانت تجهل إلى أي حد تتمنى بداخلها مجرد زواج تقليدي ، لقد خلقت هي و"جريج" ليعيشا معا ، وهو أيضا يفضل الزواج التقليدي .. وهذه الفكرة جزء من المشكلة ..

ارتجفت "هيلين" ، ما السبب في حديثها عن الحاضر ؟ ألم يكن من الأفضل أن تقول "كان يفضل" ؟ ثم لاحظت فجأة أنها تركز عينيها على صورة ما .. صورة "أليس" وهي أكبر في السن وتحتضن بين ذراعيها طفلاً صغيراً ضعيفاً في العاشرة من عمره ، كانت الصورة بعيدة لدرجة لاتجعلها قادرة على تحديد لون عينيه ، ولكن هناك شيء ما في شكل الطفل وهيئته جعلها تسأل :

– من هذا ؟

أجابتها "هانا" بهدوء :

– إنه "چوشوا" . ابن "أليس" .

كررت "هيلين" بدهشة :

– ابنها .

ولكنه لايشبه "أليس" .. إنه حقا من عائلة "نايت" من أعلى رأسه حتى إخمص قدميه ، ثم همست "هيلين" بصوت حزين :

– إنه لم يحدثني عنه أبداً .. ولم يخبرني أبداً بأنه أب لطفل ..

آه ، يا إلهي ..

– من هو الذي لم يخبرك ؟

– حسن .. أقصد "هيرمان" !

نطقت "هيلين" اسمه بصوت مختنق وكأنها تشعر بالخيانة .

– لم يكن هو المسؤول عن إخبارك بوجود هذا الطفل ، فهو ليس ابنه .

وقع الألبوم من بين يدي "هيلين" على الأرض مسببا سحابة من التراب ، بينما تدفق الدم إلى وجهها وتجمدت يداها .

– ماذا تقصدين ؟ أن "چوشوا" طفل "جريج" ؟

هزت "هانا" رأسها وانحنت لتمسك بالألبوم تاركة لـ"هيلين" الفرصة لتتماسك قليلا .

– لقد كانت "أليس" لدى أسرتها في "أستراليا" عندما علمت أنها حامل وأن الجنين ليس طفل "هيرمان" ، لذلك فضلت إخفاء السر ، ولكننا عرفنا ذلك بعد ولادة الطفل عندما أصيبت "أليس" بانهيار عصبي وأرسلت لنا أسرتها تطلب من "جريج" الاهتمام بالطفل حتى تتماثل أمه للشفاء .

– آه ، "هانا" !

اغرورقت عينا "هيلين" بالدموع .

– الحقيقة أن "جريج" شعر فوراً بمسؤوليته عن حالة "أليس" ، فأخرجه هذا النبأ من حالة اللامبالاة المقلقة ، وعندئذ سافر لرؤية "چوشوا" . وما إن تماثلت "أليس" للشفاء ، حتى طلب منها الزواج ولكن الانفصال لم يكن قد أعلن رسميا آنذاك ، ومع مرور الوقت ، ازداد حجم الشعور بالذنب لديهما وكان "هيرمان" يزج بنفسه في خضم الأخطار المستحيلة .. فشعرا بأن لاحق لهما في السعادة معا ، وهكذا قرر "جريج" زيارة ابنه فقط ، وكان يذهب بصفة دورية إلى "أستراليا" لرؤية "چوشوا" ، كما يشارك في تربيته بوضعه في مدرسة داخلية ، و"أليس" لاتزال ترسل لي تؤكد حبها لـ"جريج" ولكنه لايستطيع الاقتراب منها إلا ويتخيل خطأه .. وشيئا فشيئا قلت زياراته لهما ، ثم قرر قطع علاقته نهائيا مع الماضي .. إنه يحب "چوشوا" ولكنه يعتقد أن الطفل في حاجة إلى وجود أب بجانبه طوال الوقت ، وربما قرر الابتعاد عنهما نهائيا حتى يمنح الفرصة لـ"أليس" للاقتران بغيره ، وإن كنت أشك في ذلك .. وفي رأيي أنه لو لم ير "چوشوا" والده ، لكان من المؤكد أنه سيشعر بحزن عميق ، وهأنذي حكيت لك كل القصة حتى يكون قرارك على أساس ويمكنك إذن عمل ماترينه في مصلحتك وليس في مصلحة "جريج" .. أو "هيرمان" .

– ولكنني لا أعرف شيئا .

قالت "هانا" بجدية :

– لو كان "هيرمان" ..

– لا أعرف .. يقول : إنه يحبني ، ولكن .. ربما يكون ذلك بسبب هذه الظروف ، وربما يكون حقيقة .

لم تحاول "هانا" أن تسألها عن طبيعة هذه "الظروف" الغامضة .

– في هذه الحالة ، الأمر يتوقف عليك أنت أليس كذلك ؟
يتوقف على إحساسك . . على حقيقة ثقتك به أم لا ..
إنه رجل يا "هيلين" .. وأعتقد أنه ناضج بالدرجة التي تسمح له بتقرير مصيره ، ولكن لو كانت الشكوك تراودك ، فلماذا لاترحلين لمدة قليلة وتنتظرين وضوح الأمور؟ لماذا لا تذهبين لزيارة شقيقتك ؟ ويكفيك مجرد الاتصال به ..
أعتقد أنك في حاجة إلى زيارة "هونج كونج" .
"هونج كونج" .. بالسخرية القدر .
اعترضت "هيلين" قائلة :
– ولكنني .. لا أستطيع الرحيل هكذا .. أريد أن أقول .. الزواج ، الثوب .. الهدايا .. الاستعدادات .. العائلة ..
وفجأة شعرت أنها تفقد القدرة على المواصلة ، فقالت لها "هانا" بهدوء :
– دعي لي كل هذا ، وسنتحدث خلال خمسة أيام .
رفعت "هيلين" يديها نحو صدرها في رعب قائلة :
– ولكن "جريج" .. سيعرف أن الأمر يتعلق بـ"هيرمان" .
قالت "هانا" :
– ليكن .. ربما يكون ذلك أفضل كما يقول "هيرمان" ، ربما سيشعر "جريج" بأنه تحرر آنذاك من دينه ويصبح قادراً على اتخاذ قرار حازم بشأن "أليس" ، وهذا ما تحتاج إليه "أليس" حقا : دليل حب "جريج" لها ومحاربته للحفاظ على حبها .. وربما يكون ذلك ماتحتاجين إليه أنت أيضا من "هيرمان" .
– تعتقدين أن الأمر سهل جداً !
ابتسمت "هانا" .
– ولم لا ؟ وربما تكون الساعات الطوال التي قضيتها في صنع ثوب الأحلام لم تذهب أدراج الرياح ..

الفصل العاشر

كان هو !
شددت "هيلين" قبضتها على الكوب وهي تركز عينيها على الرجل الذي يقف في الطرف الآخر من البهو المزدحم بالناس تحت الأضواء الساطعة لحمام السباحة.
كان يوليها ظهره ولكن خصلات شعره التي تداعب ياقة سترته الزرقاء كانت مألوفة ومربكة لها .
ونسيت تماما ضيقها ومزاجها المعكر من "سوزان" التي أحضرتها معها لحضور هذا الحفل الأسترالي المقام على حافة حمام السباحة .
وكانت "سوزان" قد أصرت على اصطحاب شقيقتها معها قائلة :
– من المؤكد أن هذا الحفل سيجعلك تغيرين أفكارك !
ولكن هذا الحفل لم يفعل سوى مضايقتها أكثر وشعرت بأنها تمل من مجرد رؤية أي رجل على هذا الكوكب إلا هذا الذي تركته ورحلت ...
وهناك ، بعيداً عن حمام السباحة ، توجد ملاعب التنس والاسكواش وملاعب الأطفال حيث يتنزه الأطفال بصحبة المربيات الفلبينيات وهذا شيء مألوف بالنسبة للسيدات اللاتي يردن التفرغ لأزواجهن رجال الأعمال أمثال "چاك" .
وكانت "هيلين" تقضي أوقاتها في التنزه مع "كارولين" و"مايكل" و"ليزا" ، ولكنها لم تنجح في التخلص من حزنها وقلقها اللذين يفسدان عليها أي متعة .
ولكن ، هل نجحت "هانا" في حل هذه المشكلة كما قالت لها ؟
وهل صفح لها "جريج" فعلتها ؟
والحق أنه بعد أن أفاق من سكره ، فهم أن "هيلين" قررت إلغاء الزواج ، وحاول أن يعبر عن حزنه لأنها خدعته ، ثم أخذ يكيل لها الاتهامات ولكنه لاحظ أنها لم تحاول الدفاع عن نفسها أو مجرد النطق بكلمة واحدة ، فغضب كثيراً ثم أخذ يلعن جميع السيدات والفتيات على وجه الأرض .
وعندئذ قالت لها "هانا" .

– سيهدأ بعد قليل .

ثم قامت "هانا" بالاتصال بـ"هونج كونج" وحجزت لها في الطائرة المتوجهة إلى هناك في اليوم التالي ، ولم تفصح لـ"هيرمان" عن أي شيء مما ينويان عمله ، وأخيراً قرر "هيرمان" أن يترك الفرصة لـ"هيلين" لكي تتنفس،والحق أن "هيلين" كانت ترتجف بمجرد تخيلها ذهاب "هيرمان" للبحث عنها في اليوم التالي ليكتشف أنها رحلت .

وكانت تعتقد أنه سيتصل بها تليفونيافور وصولها وربما يسافر إليها ولكن الأيام تمر دون أي بارقة أمل ، وهنا قررت "هيلين" مواجهة حقيقة أنها لن تراه ثانية .

فجأة عادت "هيلين" إلى أرض الواقع فاكتشفت أن الرجل الذي كان يقف هناك اختفى تماما .. بالتأكيد ، لم يكن هو، لم يكن "هيرمان" ... لابد لها من التخلص من هذا الوسواس حتى لاتصاب بالجنون .. لقد تركته دون كلمةواحدة ، دون أن تترك له رسالة .. فلماذا يهتم بالبحث عنها ؟ ربما عاد إلى "نيويورك" ليغرق نفسه في تأليف كتاب جديد .

إنها تلوم نفسها لتسرعها في الرحيل قبل معرفة عواقب هذا التصرف .

من المؤكد أن "هيرمان" يحتقر جبنها .. إنها لم تخبره أبداً أنها تحبه .. لماذا لم تواتها الجرأة لتعترف له بما تشعر به ؟

إنها تكن له حباً عظيماً وليس العكس ، لقد تصرفت بطريقة مؤلمة .

– هل تريدين قضاء الليلة معي ؟

تركت "هيلين" الكوب فجأة ، فوقع على الأرض ألف قطعة فلطخ الحذاء الباهظ الثمن الذي اشترته في الصباح بناء على نصيحة شقيقتها "سوزان" .

همس "هيرمان نايت" وهو ينظف البقع التي تناثرت على سرواله الأزرق إثر وقوع الكوب :

– إن ذلك يفتقر إلى الرومانسية ، أليس كذلك ؟

قالت "سوزان" التي كانت تقف بجانب "هيلين" :

– هل سمعت جيداً ما قلته الآن ؟

ابتسم "هيرمان" وهو يتأمل وجه "هيلين" ثم قال :

– لقد سألت هذه المرأة إن كانت توافق على قضاء الليل معي .

كان يمكن لـ"سوزان" أن تتصرف بطريقة رهيبة ولكن رؤية هذا الرجل الوسيم ، الأنيق ، الذي يرتدي سترة على أحدث موضة جعلتها تهدأ بعض الشيء .

وكانت "هيلين" تتطلع إليه بعينين واسعتين ولكنها دهشة جداً ..

أجابت "سوزان" بثبات وهي تسحب "هيلين" بعيدا عنه :

– حسن ، ذلك لايهم هذه المرأة .

ولكن "هيرمان" تحرك عدة خطوات ليلحق بهما ، فقالت "سوزان" معترضة :

– يكفينا هذا ياسيد ! إنها حزينة بما فيه الكفاية وليست بحاجة إلى سماع كلمات شخص مغامر مثلك !

– حقا ؟ حزينة ؟

هزت "هيلين" رأسها وهي تضع يدها على صدرها ..

إن قلبها يكاد يقفز من مكانه !

– يجب أن تستعيني برأي شخص مجرب .. فالحزن خطير جداً وخاصة عندما يحاول الفرد تحمله وحده .

ثم ابتسم بطريقة مثيرة وقال مؤكداً :

ولكنني أملك كفاءة لامثيل لها في علاج هذه الآلام .

أجابت "هيلين" بصوت أجش :

– في الفراش ؟

– "هيلين" !

شعرت "سوزان" أن أختها تتصرف بطريقة غريبة .

– هل تقيم هنا ياسيدي ؟ هل لديك دعوة ؟

قال "هيرمان" دون أن يجيب عن السؤال الموجه إليه :

– في الفراش ، بعيداً عن الفراش ، في أي مكان ..

– اسمعني ياسيدي ، لو لم تبتعد فوراً ، فسأبلغ رجال الأمن ..

– إنني أقيم في جناح في الـ"هيلتون" .

ثم أخذ يفتش في جيب سترته دون أن يرفع عينيه عن وجه "هيلين" .

– ها هو ذا مفتاح حجرتي .. لو شعرت أنك بحاجة إلى وقت للتفكير

فأنا لا أتعجلك ، وسأنتظرك طوال عمري .

انفجرت "سوزان" قائلة عندما وضع "هيرمان" المفتاح في يد "هيلين" :

- ما الأمر بحق الشيطان ؟

ولكن "هيلين" نظرت إلى المفتاح المعدني في يدها ، ثم شددت قبضتها عليه كما لو كان كنزاً ثميناً .

إنه مفتاح الحياة ، مفتاح الحب ، مفتاح باب السجن الذي وضعت نفسها فيه بأحزانها وشكوكها .

قالت "سوزان" :

- يبدو أن شقيقتي تلقي بنفسها بين ذراعي أول رجل يأتي إليها ؟ أين "چاك"؟ سترين أنه سيمنعك من ذلك !

قالت "هيلين" بهدوء :

- لست في حاجة إلى التفكير سأحضر إليك .

ثم أعطته المفتاح ، فقال لها "هيرمان" بصوت جاد :

- لا أريدك أن تخطئي فهم شيء لا أقصده ، وأفضل أن تتضح الأمور أمامك فوراً : إنني لا أرغب في مشاركتك الفراش طوال الليل والنهار فقط بل بقية حياتي ...

قالت "هيلين" بصوت مرتعش :

- آه ؟

إنها تؤدي هذه اللعبة تحت مرأى ومسمع من "سوزان" المسكينة ، وعندئذ اقتربت منها "سوزان" وهمست في أذنها :

- "هيلين" ! أرجوك ، لاتزجي بنفسك في هذا الأمر !

ألا ترين أنه شيطان ؟

ولكن "هيرمان" تابع حديثه قائلا :

- أريد الزواج منك .

- شيء طبيعي ، وأنا موافقة .

ولأول مرة ابتسمت بينما لمعت عيناها ببريق خبيث ، وقالت :

- بعد أن حاولت استمالتك بهذه الطريقة ، لابد لي من رد اعتبارك بالزواج منك.

سألتها "سوزان" في قلق :

- "هيلين" ، هل تعرفين هذا الرجل ؟

أجاب "هيرمان" مبتسما :

- لقد أخذت وقتها ولكنها وصلت أخيراً ، أنت "سوزان" على ما أعتقد ؟

ثم استولى على يدها وصافحها بحرارة .

- أقدم لك نفسي : "هيرمان نايت" .

- "هيرمان" ؟

أخذت "سوزان" تنظر إليهما الواحد تلو الآخر بعينين واسعتين ، ثم قالت لـ"هيلين" :

- هذا الـ"هيرمان" ؟ هذا الذي ...

أكد "هيرمان" :

- نعم أنا هو .

قالت "سوزان" بجفاء :

- حسن .. لايمكن أن أقول إنك متعجل .. وإلا لماذا لم تستقل أول طائرة قادمة إلى هنا ؟

أجاب "هيرمان" بهدوء :

- كان لديّ بعض الأشياء أريد تسويتها أولا .

تقلصت "هيلين" وقالت :

- "جريج" ؟

- وماشأنك بهذا ؟ هل تريدين الحصول على موافقته ؟

هزت "هيلين" رأسها بدون تردد ، فتنهد "هيرمان" وقال :

- كنت أظن أنه سيهاجمني ، ولكن ذلك لم يحدث ، فقد اكتفى بجعل الحياة مستحيلة لأسرتنا خلال هذه الأيام الأخيرة كما لو كان والداي غير حزينين لإلغاء الزواج ..

همست "هيلين" كأنها مذنبة :

- كنت أعرف أن الواجب يحتم عليّ الانتظار .

- كلا ، كان من الأفضل أن تبتعدي عن المنزل في هذه الفترة ياعزيزتي ، كما

أنني ساعدتهم .. بكل سرور ..
ولقد رحل "جريج" إلى "أستراليا" أمس .. لنقل مثلا إنه ذهب لزيارة "چوش" ، وربما يستطيع أن يجد هو و"أليس" السعادة أخيراً .
– وهل سيضايقك هذا ؟
نظر "هيرمان" إليها بدهشة ، ثم لف ذراعه حول خصرها وجذبها نحوه وهو يتحسس خصلات شعرها الأسود ، فاقتربت منه والتصقت به .
وقال لها :
– هل تعرفين أنك جعلتني أعيش في جحيم خلال هذه الأسابيع الأخيرة ؟ والآن ياملاكي ، أمامنا متسع من الوقت لإصلاح ماحدث والعيش في سلام .
قالت له "هيلين" نعم بعينيها ، وبعد أن أشارت لـ"سوزان" مودعة إياها ، رحلا معا إلى فندق الـ"هيلتون" .

تمت

www.elromancia.com
مـــر مـــوريـــة